قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب بمدارس البنات الأولية والابتدائية والأولية الراقية والمعلمات

كتاب
الأخلاق للبنات

تأليف

محمد رضا — رئيس قلم المراقبة بوزارة المعارف
محمد حمدى — وكيل مدرسة المحاسبة والتجارة العليا

(الطبعة الثالثة)

مطبعة المنيرة الهندية بمصر
سنة ١٣٣٨ هـ — ١٩٢٠ م

قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب بمدارس البنات الأولية والابتدائية والأولية الراقية والمعلمات

كتاب
الأخلاق للبنات

تأليف

محمد رضا
رئيس قلم اللوازم بوزارة المعارف

محمد حمدي
وكيل مدرسة المحاسبة والتجارة العليا

(الطبعة الثالثة)

مطبعة أمين هندية بمصر
سنة ١٣٣٨ هـ — ١٩٢٠ م



﴿ الجنة تحت أقدام الأمهات ﴾





يا سَعَادات احْمليـهِ   وَعَلى الفَرْشِ ضَعيهِ
وَخُـذيهِ بِتأَنّ   وَاهُ سمِّي وَغَنِّ

(صفحة ٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموفِّق إلى الفلاح والنجاح ، المُعين على سلوك طريق الإرشاد والإصلاح . والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسَل بالهداية ، وعلى آله وأصحابه أُولى الفضل والدِّراية

﴿ أما بعد ﴾ فقد حَدانا إلى تأليف هذا الكتاب ما نشاهده فى مُعْظَمِ الاسْراتِ المصرية من فُشُوِّ الأوهام والخُرافات . مما يرجع سببه إلى قُصور المرأة المصرية وأنَّها لم تَستَنِرْ بَعْدُ بنور العلم والعِرْفان. فأَضَرَّ هذا بأولادها وأثَّر تأثيرًا سيئًا فى تدبير منزلها . فساءت حاله ولم يَعُدْ مُسْتقرًّا للسعادة المنشُودة . وكيف يُرجَى من بيئةٍ كهذه أن تَنْبُت فيها الأطفال نباتًا حسنًا، حتى يكونوا عماد الأمة ودَعائمها التى يُقامُ عليها بناءُ المستقبل ؟

سبقت الغربيةُ أُختَها الشرقيةَ فأصبح البَوْنُ بينهما شاسِعًا . فكانت الغربيةُ عاملا قويًا فى تكوين التمدين الأورُبى الحاضر الذى هو ثمرة من ثمرات تربيتها الرشيدة لطفلِها ، وتعهُّدِها إيَّاه منذُ المَهْدِ ،

وَفَطرِهِ على متين الأخلاق والعادات . فهى مربّيهِ الأولُ وهادِيه ومُرْشِدُه

الأمّ مدرسة إذا أعْدَدْتَها   أعْدَدْتَ شَعْباً طيّبَ الاعْراق

وإن إصلاحَ حالِ المرأة المصرية وتقويمَ اعْوجاجها ممّا عُنِيَ به الباحثون حديثاً . وقد اتفقتْ كلمتُهم على ضرورة تعليمها ، ولكنْ بين إدراك هذه الغاية على أتم وجوهها و بين حالتِها العقلية الحاضرة زمن ليس باليسير ،جرياً على سُنةِ الترقى ، ولن نجد لسنة الله تبديلا

فأحْبَبْنا أن نَتَلافى فى هذه الصَّفحات بَعْضَ الشر ، وأن نستأصل شيئاً مما قرَّ فى الأذهان من الخُرافات والخُزَعْبلات ، وأن نذكر بعض المستحْسَن من آداب اللّيقانِ النِسْوية . وأردنا أن تنتفع بهذا الكتاب الناشِئاتُ المصريات لاسيما التلميذات ، فإنهن أقبَلُ للموعظة وأحرصُ على العمل بها والاهتداء بِهَدْيِها ، بحكمة ما حَصلْنَ عليه من العلم والتّهْذيب

وتَوَخَّيْنا فى العبارة السهولة،حتى تكون المعانى أسبَقَ إلى الذهن وأعْلَقَ بالخاطر . ووضعنا الكثير من الموضوعات فى قالَبٍ روائى خيالى، تشتاقه النفوس وتَصْبو إليه ، لما فى طبائع النَّشْءِ من الميل إلى الأقاصيص ، والإقبال عليها والعناية بشأنها . والله المسئول أن يحقق فى هذا الكتاب مانرجو له من النفع وهو حسبنا ونعم الوكيل م؟

(تحريراً بالقاهرة في شعبان سنة ١٣٣٨ الموافق ابريل سنة ١٩٢٠)

فهرس الكتاب

(أ) آداب

(ب) عادات

(ح) حكايات

(د) اناشيد

(٥) تراجم بعض مشهورات النساء

(الشرقيات)

(الغربيات)

١ ـ فى الآداب

آداب المنزل

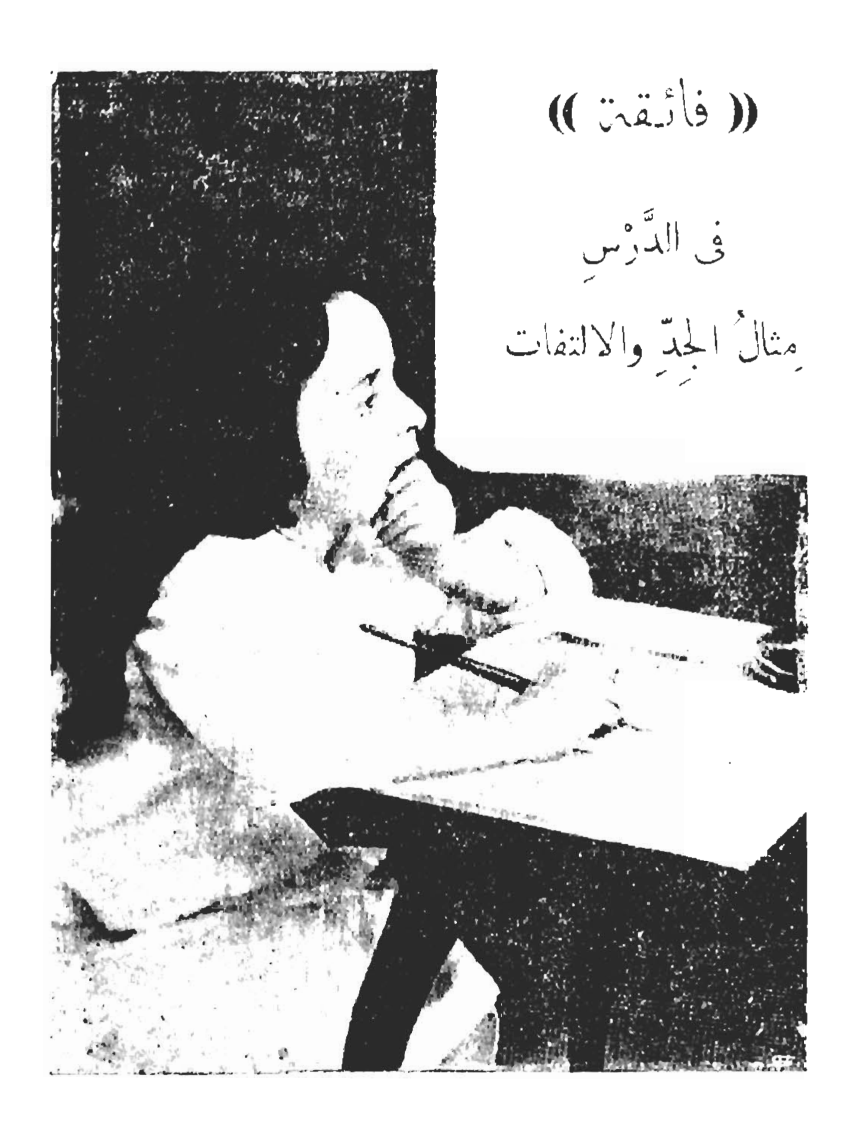
« لبيبة » فتاةٌ تبلغ من العمر عَشْرَ سنين . ولها من الأخلاق الفاضلة ما يصحُّ أن تكون به مِثالاً حسناً لصاحباتها ، حتى بعض الكبيرات منهن : فهى لايفوتها مثلاً أن تُقَبّل يَدَىْ والدها ووالدتها فى الصباح ، وفى المَساء قبل أن تنام . وهى تطيعهما طاعة تامة ، وتقول لأخيها الصغير إذا خالَفَ أو شَذَّ : إن والدتى أدْرَى بالصالح لنا ، فتجب علينا طاعتُها . وأمّا محبتها لإخوتها فظاهرةٌ من قيامها بما يمكنها من خدمتهم ، عَنْ رِضاً وَطِيب خاطر . فكلهم يحبها لأنها هادئة ، دَمِثَةُ الأخلاق ، بعيدةٌ عن كل ما يُشْتَمُّ منه عنادٌ أو خُبْث : فلا يُسمع لها صِياح أو صُراخ ، لأنها تستحى أن يَسْمع صوتَها الجيران أو الخدم ، بل تَخْجَلُ أن تَظهر بمظهر المَرَج والهِياج كما يفعل بعض البنات . واذا لعبت ، فانها تلعب بما يفيدها ويزيد نشاطها ، محافظة على نظافة بدنها وثيابها . ثم إنها تُراعى دائماً راحة مَنْ بالمنزل : فان كان أبوها يشتغل فى مكتبه ، أو أخوها يستذكرُ دروسه ، أو كانت أمها نائمة ، حاذَرَتْ أن يقع منها ما يوجب الانْزعاج والتهويش . ومن جميل صفاتها أيضاً أنها لا تَنْسَى أبداً الاستئذان ، لَدَى دُخول الغرف

الخصوصيَّة ، فتقرع الباب بأَنْمُلَتِها ، وتنتظر حتى يُؤْذَن لهـا ، وإلا رجعت . فعلى البنات العاقلات أن يتَّخِذْن « لبيبة » قُدْوَةً لهن ، ويتحَلَّيْن بجميل صفاتها ، وحميد أخلاقها .

آداب المدرسة

« فائقة » تلميذة نجيبة ، من أحسن تلميذات المدارس المصرية . وإنَّ اسمها فى الحقيقة لَعَلَى مُسَمًّى : فما تأخرت عن الميعاد يوماً ، ولا انقطعت عن المدرسة بدون عذر مانع . ومن عادتها أن تَسْتَيْقِظَ فى الصباح ، فى وقت يُمَكِّنها دائماً من التَّوَجُّه قبل الميعاد ، مع الراحة والاطمئنان . فإذا وصلت إلى المدرسة ، أخذت تُحَيِّى رفيقاتِها ببَشاشة ولطف . فاذا دخلت المكتب ، جلست مكانها منتظرة معلمتَها ، حتى إذا جاءت المعلمة ، قامت احتراماً لهـا وتعظيماً لشأنها . وهى فى أثناء الدرس ، مثال الجدِّ والعمل والالتفات ، فلا تكلم جارتها ، لأنها تعلم أن فى ذلك تَهْويشاً ، وإضاعةً لِما تُلْقيه معلمتها من الفوائد . فاذا سُئِلت ، تَنْهَضُ قائمة ، ثم تُفَكِّرُ ثم تجيب ، أو تقول لا أعرف ، إن لم تُوَفق للصواب . وإن أرادت أن تسأل سؤالاً تَرَيَّثَتْ ، حتى تفرُغ المعلمة مما تقول ، فلا تقاطعها ، ثم ترفع يدها حتى يُؤْذَنَ لها فى الكلام . فإذا قُرِعَ الجرسُ المُؤْذِن بانتهاء الدرس ، وقفت مكانها منتظرة إذْن

المعلمة بالانصراف . وفى ذلك من إظهار احترام الدرس والمدرسة ما لا يخفى . ولا يفوتها ، وقتَ الرياضة واللَّعِب ، ألاَّ تُجْهِدَ نفسها بالجرى العنيف ، حتى لا تكون فى الدرس التالى مُتْعَبَة . أما منظرها فكان دائماً مثالَ النظافة ، ولا شائبةَ فى ملابسها ولا بُقَع . وشعرُها مُرَجَّل وأظافرُها مُقَلَّمةٌ نظيفة ، وكتبها وأدواتها تَنْطِقُ بمقدار عنايتها بها ، حتى إنك لا تكاد ترى فى دفتر أو كتاب أثراً من تلويثٍ بحبر



((فائقة))

فى الدَّرْسِ

مِثالُ الجِدِّ والالتفات

أو غيره ، أو تمزيق أو إهمال

فمن ذلك كلِّه نرى « فائقة » حقيقة قد فاقت قريناتها فى الأدب والكمال ، وحُبِّ النظام والتعلم

آداب السير فى الطُّرقات

الفتاة المهذَّبَة هى التى إذا خرجت من منزلها ، وسارت فى الطريق ، حَفَّها الأدب والوقار ، وَعَلَتْها الهَيْبَة والكمال ، فلا تلتفتُ إلا للضرورة ، ولا تنظر إلى وجوه المارَّة ، فقد قال الله تعالى « وقُل للمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ من أبصارِهِنَّ » ، ولا تجيب مَنْ يكلمها فى الطريق إلا أقاربها الأدْنَين ، إذا اقتضت الحال ذلك . ومن الأدب والحياء أن السيدات إذا كُنَّ جماعةً فى الطريق مَشَيْنَ ساكتات ، فاذا تكلَّمْنَ وجب ألا يكون أمامَ المارة ، بل بعيداً عنهم ، بحيث يكون الحديث هَمْساً . والفتاة المهذبة مَنْ إذا سارت فى الطريق لا تُبْدى مِنْ زينتها شيئاً : فلا تظْهِر الملابسَ ولا الحُلِيَّ أو الشعر ، عملاً بقوله تعالى وهو أصدق القائلين « ولا يُبْدِينَ زينتَهُنَّ إلا ما ظَهَرَ منها » ولقوله جل شأنه « ولا يَضْرِبْنَ بأرجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِن زينتهنَّ » كما يجب أن تكون المُلاءَة واسعةً رحْبَةً سابغةً ، وألاّ يكون البُرقع شفَّافاً ، يَنُمُّ على شئ من الوجه أو العنق أو الصَّدر ، عملاً بقوله تعالى

« وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ » وخروج النساء مُتَعَطِّرَاتٍ مُحَرَّمٌ شرعاً



آدابُ السير فى الطُّرُقات

فهذا هو أدبُ الدين ، الذى جعله الله سِياجاً للحَياء ، وقِواماً للعَفاف . وهو ينطبق على رُوح العُمران وقوانين التَّمَدْيُن ، وما عـداه ضلال مبين . هدانا الله إلى صراطه المستقيم

آداب الزيارة

وداد — قومى يا أمى نخرج لِنزورَ بعض صاحباتِنا ، حتى نُفَرِّجَ عن أَنْفُسِنا ، لأنى لَستُ منشرحة

الأم — وكيف نخرج الآن والساعة التاسِعَةُ صباحاً ، وأمامَنا أعمالٌ كثيرة لم تُنْجَزْ بَعْدُ فى البيت ؟ فاعلمى أنَّ مِنْ أكبر عيوب السيدات أن يَخْرُجْنَ ويترُكْنَ منازِلَهُنَّ مُعَطَّلة

وداد — بالله قومى نخرج ، وها هى الخادمة تعمل كل شئ .

الأم — إننى إذا خرجت الآن لا يرتاحُ بالى . لأنى لم أتَعَوَّدْ أن أترك الخادمة فى بيتى تتصرَّف فيـه كيف تشاء . بل لا بُدَّ أن أُشْرِفَ على عَمَلِها جميعه ، وأعمـل معها ما يصح لى أن اباشره ، حتى أكونَ قُدْوَةً لها فى الإحسان ، فلا يَتَطَرَّق إليها الإهمال والكسل

وداد — إذن أذهب أنا وَحْدِى إلى بيت جارتنا ، فأتحدَّث مع ابنتها نحو ساعة حتى تنتهىَ من عملك

الأم — كنت أُحِبُّ أن أسْمَعَ منك كلاماً غيرَ هذا . فيجب

أن تَبقَىْ معى لتساعدينى على أداء الواجبات المنزلية . واعتقدى ياوداد أن العمل يَشْرَحُ الصدرَ ، ويُزيل الهَمَّ ، وما أنتِ فيه من الانقباض إنما هو نتيجة الكسلِ ، والدَّعَةِ والسكونِ ، والإخلادِ إلى الراحة

وداد — لا بأس ، فأنا أمكث معك وأساعدك ، بشرط أن نخرج وَقْتَ العصر

الأم — لكِ ذلك ، وإن هذه لَفِكْرَةٌ جميلة . لأنك إذا ذهبت إلى جارتنا الآن تجدينها مع ابنتها فى شُغْل شاغل عنك : تُرَتِّبُ البيت ، وتُعِدُّ الطعام أو تَخِيطُ الملابس ، إلى غير ذلك من تدبير المنزل ، وكذا الحالُ فى كل أُسْرَة . فيكون وجودك بين السيدات مُعطِّلاً ومُضَيِّعاً لوقتهن النفيس . أمَّا وقتُ العصر ، وقد انتهت كلٌّ من عملها ، فلا بأس بالتزاور . وإذا دخلنا منزلاً يا وداد ، وجاءت السيدات يحيِّيننا، فصافحيهنَّ باليد ، وقابليهن بالابتسام اللائق . قال الله تعالى « وإذا حُيِّيتم بِتَحِيةٍ فَحَيُّوا بأحسنَ منها أو رُدُّوها إنَّ الله كان على كل شئ حسيباً » . ولا تدخلى فى حديث يكون من شأنه الاغتيابُ والفخر ، فإن مُعْظَمَ مجالس النساء مشحونةٌ بهما . فما أقبحَ أن تتحدثَ السيدة بما عندها من خَدَم وحَشَم ، أو تفخَر بأثمان ملابسها وحُلِيّها !

وداد — لقد آلَمَتنى ياأُمى تلك المرأة التى قابلناها فى منزل جارتنا فى الأسبوع الماضى ، وأخذت تَنْتَقِدُ ملابسى وتُظهر عيوبَها

الأم — نعم وكنتُ أنا متألمةً أيضاً ، فالانتقاد على هذا الوجه

مَعِيبٌ مذموم ، إذ كلُّ إنسان وحالَتُه المالية . أمّا الزِى (المودة) فتابعٌ للذوق ، فلا عِتابَ ولا لَوْم

يجب ياوداد أن يكون حديثُ الزيارات حُلْوًا فكاهيًا ، لا يتناول الغِيبَةَ ولا السُّخْرِيَةَ ، فقد قال الله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا يَسْخَرْ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساءٌ مِنْ نساءٍ عسى أن يَكُنَّ خيرًا منهُنَّ » ، وقد قال تعالى « ولا يغْتَبْ بعضكُم بعضاً أَيُحِبُّ أحدُكم أن يأ كلَ لحمَ أخيه مَيْتاً فكرِهْتُمُوهُ »

أرجوكِ وأشكرُكِ

ما أحلى الوئامَ والائتلاف ! فهما أساس الاجتماع والعمران ، وعليهما مَدار نجاح الاعمال . ولولا مُبادلةُ الناس بعضهم بعضاً الودَّ والصداقة ، لما اجتمعت تلميذات المدرسة مثلاً فى صَعِيدٍ واحد ، يلعبْن ويأ كلْن ويتعلمْن معاً ، فهما من ضروريات هذه الحياة الدنيا ، ولولاهما لكان الناس أشبهَ بالحيوانات المفترسة منهم ببنى الإنسان. قال تعالى فى كتابه العزيز ، مخاطباً سيدَنا محمداً صلى الله عليه وسلم «ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلب لانفَضُّوا مِن حَوْلِك».ومن أهم الأسباب فى غَرْس الود والصداقة ، التلطُّفُ فى القول مع الناس ، لا فرق بين كبير وصغير ، وغنى وفقير : فاذا طلبتِ شيئاً من أحد فاطلبيه برفق

وقولى « أرجوك » أو « من فضلك » ، سواء أكنتِ مخاطبةً أُمكِ أَمْ أُخْتَكِ أم غيرَهما ، ولو كنتِ أرفعَ من المخاطَب مقاماً وأعزَّ جاهاً . فاذا أجيبَ طلبُكِ ، فقولى « أشكرُكَ » ، فان الشكر حقٌ عليك لمن يُسْدِى إليك معروفاً

ولَمَّا كان هذان اللفظان (أرجوك وأشكرك) من الألفاظ التى تَنُمُّ على أدب الشخص فى معاملاته ، أصبَحا شائِعيْن شُيُوعاً عظيما جدًّا بين الأمم المتمدينة : فَيُسْمَعانِ فى عربات الترام ، والقُطُرات ، والمخازن العمومية ، والمصالح ، والمطاعم ، والملاهى ، حتى صار النطق بهما عادة من عادات الناس ، حتى الطفل الصغير تَسمعينه يقول لأمه عند ما يطلب أى شىء : أرجوك ، ثم يقول : أشكرك . فعلى الفتيات أن يَتَحَلَّيْنَ بهذا الأدب فى جميع معاملاتهن ، فان فى تعوُّد حسنِ الخطاب ، والشكر على المعروف ، حِلْيَةَ الأخلاق وزينتَها



ب ـ فى العادات

مضار التوسع فى الحفلات

ملكة — ما قولكِ يا أختى فى هذه الحفلة البديعة ، وما جمعتْ من أسبابِ السرور والانشراح ؟ ألا توافقيننى على كونها أجملَ حفلة عُرس حضرناها فى حياتنا ؟

عزيزة — نعم هى حفلة بديعة . ولكنى أرى أن فى إقامة الافراح شيئاً كثيرًا من الإسراف . أليس من الصواب ادِّخارُ هذا المال الكثير ، لينفع الزوجين وأولادَهما فى المستقبل ؟

ملكة — إننى لا أرى ما تَرَيْن : أُنظرى إلى هـذه الأنوار المتلألئة ، والأعلام المنشورة ، وما حولها من طاقات الرياحين ، وهذه نغمات الموسيقى تَزيد بهجةَ الاحتفال ، والمدعواتُ يَرْفُلن فى أجمل حُلَلِ البهاء ، مُتَبَخْتِرات ، تنظر كلٌّ إلى الأخرى مُعْجَبَةً بملابسها الجميلة . هذا إلى ماهنالك من حُلِيٍّ وجواهر كريمة . ولا تَنْسَيْ الأطعمة اللذيذة والتمتع بالسَّمَر إلى ما بعد مُنْتَصف الليل . هـذا متاع الحياة الدنيا ، فكيف تريدين أن نُحْرَمَه ؟

عزيزة — عجباً ! إنك تنظرين للموضوع من جهة وأنا أنظر إليه

من جهة أخرى: إنما أعنى الإسرافَ والتبذير، وإنفاق المال فى غير موضعه وَوجْهَتِه المشروعة، فهذا ما أعترضُ عليه . وإنى أمقُت أيضاً الاستدانةَ للتوسع فى إحياء الليالى الساهرة، حتى إذا أصبح الصباح حَلَّ الهمّ من النفس محل الانشراح والأنس، ووجد صاحب الدعوة نفسه وقد بَهَظَه الديْن وتملَّكَه الندم على إفراطه وسوء تدبيره، ولاتَ ساعةَ مَنْدَم . هذا عدا ما تعطيه المَدْعُوّاتُ المغنياتِ والراقصاتِ من الهِبات، مما يُعْتَبر دَيْناً على العروس وأهْلها : فاذا أقامت إحدى المدعوات مُحْتَفَلاً من هذا القبيل، ولم تذهب العروس وأهلها لرد الجميل، اعْتُبِرَ ذلك عملاً شائناً . كل هذه عادات غير محمودة، وقد آن الأوان أن نُقلع عنها

خالتهما — يظهر أنكما تتناقشان فى أمرٍ مُهِم كما هو شأنكما، فهل وصلْتُما إلى حل مسألة غامضة ؟

ملكة — إننا يا خالتى نبحث فى عادة الأفراح، والشىء بالشىء يُذْكَر. فأختى تَعْتَرِض على ذلك، وتبغى أن نُحْرَم هذا المتاع الجميل، دَفْعاً للإسراف، وما ينشأ عنه من الديون

خالتهما — لقد أصبتِ يا عزيزةُ المَرْمَى . ولو بذل كلٌّ ماله فيما ينفع، لأصبحت الأمة فى يُسْرٍ ورخاء، وَلَمَا وقع كثير من الناس فى شَرَكِ الإفلاس. فيجب أن يسير كل على حسب طاقته، وما أصْدَقَ المثلَ القائلَ «على قدر لحافك مُدَّ رِجْلَك»، والتقليد الأعمى مُضرٌّ جداً. فلا بَأْس بالاحتفال للعُرْس، مع التوسط والاعتدال. وخير الامور الوسط

ضرر التبذير وحكمة التوفير

السيدة فريدة — ما أَجْمَلَ هـذا الثوبَ الذى تَلْبَسينه ! فإنه يجمع الى الرشاقة سلامةَ الذَّوْق . فمِنْ أين اشتريت نسيجه وَمَنْ هى الخائطة التى خاطته لك ؟

السيدة عائشة — أمَّا النسيج فقد اشتراه لى زوجى بعد أن رأيتُ نَمُوذَجاً منه . وأما التفصيل والخياطة فقد قمت بهما بنفسى كما هى عادتى : فجميع ملابسى إلا قليلا وكذا ملابس زوجى من القُمْصان والجلاليب والزيوق أخيطها بنفسى

السيدة فريدة — ولكن هل تجدين عندك من الوقت والصبر مُتَّسَعاً لكل هذا ؟

السيدة عائشة — نعم إن هذا العمل أُؤَدِّيه فى أوقات الفراغ حَذَرَ الكَسَل، وفِراراً من السآمة والملل. وزوجى لا يحب من الملابس إلا ما أصنعُه بيدى . وإننا نفتخر بذلك

السيدة فريدة — أرى أن هذا ليس من شأن السيدات الرفيعات أمثالِنا ، بل هو من عمـل الفقيرات ، لأنهن لا يقْدِرْن على دفع أجور الخائطات ، أما نحن فلنا مِنْ يُسْرِنا غُنْية

السيدة عائشة — قلتُ لك يا أختى إننى أقوم بهذا العمل تَرْوِيحاً

عن النفس ، فلا أجد فيه مَشَقَةً الْبَتَّة . وإنى لا أخيطُ الثوب فى يوم واحد ولا فى ساعة واحــدة ، بل فى ساعات متفرقة كلما وجدتُ الفُرْصَة سانحة . نعم عندنا المالُ الكافى كما تقولين ، ولكن مَنْ يعلم ما يُخَبِّئُه الدهر ؟ والواجب ألا نُنْفِقَ كل إيرادنا ، بل نَدَّخِرَ منه جزءاً نتقى به طوارئ الزمان ، وطوارِق الحِدْثان : ألا تَرَيْنَ كيف تسعى النملة فى الصيف لخزنِ ما تَقْتاتُ به فى الشتاء ؟ فاذا كان هذا هو حال تلك الحشَرَةِ الحقيرة ، فما أجْدَرَ الانسانَ ، الذى شرَّفه الله على سائر مخلوقاته بالعقل والفكر ، أن يَتَبَصَّرَ فى العواقب ! قال تعالى « إنَّ المُبَذِّرين كانوا إخوانَ الشياطين »

السيدة فريدة — إذاً من رأيِكِ التقتيرُ ، وتقليلُ أبواب الإنفاق : فلا ضرورةَ للخدم ، ولا للطعام الشهِيِّ ، ولا للملابس الجميلة ، ولا السُّكْنَى فى الجهات الصحية وهكذا

السيدة عائشة — لقد أخطأتِ فَهْمَ غرَضِى : فان الاقتصاد ليس معناه التقتير ، بل ادِّخارُ جزء من دَخْل الإنسان لينفعه وقت الضرورة . فالغنىُّ الذى يبلغ دخله فى الشهر ألفَ جنيهٍ ، يمكنه أن يَدَّخر منها مائتى جنيه مثلا . والفقير الذى يكسِب فى اليوم عشرة قروش ، قد يقتصد منها قرشين ، ويُنفق الثمانية على نفسه وعياله وهكذا . ولما كان الاقتصاد من ضروريات الحياة ، وكان كثير من الناس لا يعرف كيف يَحْتَفِظُ بما يَدَّخره من مكسبه ، أنشأت الحكومة صناديق التوفير بمكاتب البريد ، وعَمَّمَتْها فى جميع بلدان القطر المصرى ، ليسهُل

على الناس إيداع أموالهم فيها . حتى إذا اضْطُرُّوا يوماً لَجَئُوا إليها .
ولتعويد الصغار التوفير، وغرس ملكة الاقتصاد فيهم ، بادرت وزارة المعارف الى إدْخال نفس هذه الطريقة فى المدارس ، حتى يَشِبَّ الولدُ والبنتُ على حب الاقتصاد من الصغر

السيدة فريدة — لقد قلتِ حقًّا ونَثَرْتِ دُرَرًا غالية . عَهِدْناكِ فى الصغر فتاة امتازت بالأدب ، ورأيناكِ فى الكبر سَيِّدَة مُدَبِّرَة ، عاقلة حازمة . حفظكِ الله ورعاكِ بعين عنايته

المأتم

ذهبت الآنسة عديلة لزيارة شقيقتها السيدة عائشة ، فرأتها مَوْعُوكَة . مُصْفَرَّة الوجه ، محمرة العينين : ودَلَّ تثاؤبها على ما بها من كَسَلٍ وَتَعَبٍ . فسألتها قائلة:

الآنسة عديلة — مالى أراكِ كمن أصابه بَرْدٌ أو زُكام ؟

السيدة عائشة — دام سهرى طولَ ليلة أمس، فما قرَّ لى جَنْب

الآنسة عديلة — ولما ذا ؟

السيدة عائشة — تُوُفِّيَ ابنُ جارتنا قُبَيْلَ الغروب ، فملأت الدنيا صياحاً وعويلاً ، وصارت تَصْرُخ وتَلطِمُ وجهها . ولقرب منزلها من منزلنا كان يَرِنُّ فى بيتنا صَدَى اللطم والصراخ ، فلم أنم ساعة

واحدة من الليل كلّه

الآنسة عديلة — مسكينة هـذه المرأة . ما أصعبَ الفراق ! حقًّا إنها لمعذورة فيما فعلت

السيدة عائشة — حقيقة هى مسكينة وتستحق الإشفاق . ولـكن لا ينبغى لها أن تُقْلِقَ راحة الجيران هكذا . إذْ لها أن تَحْزَنَ وتبكى ، وليس لها أن تفعل فعل المجانين. فحلول المصائب يُظهر الفرق بين المرأتين ، المُرَبَّاةِ والجاهلةِ : إذ الأولى تستعين بالصبر والجَلَد ، وتجتهد فى تسكين آلامها وأحزانها ، ولا تَسْتَسْلِمُ إلى البُـكا، والنحيب، عملا بقوله تعـالى « وبشِّرِ الصَّابرين الذين إذا أَصابَتْهُم مُصيبَةٌ قالوا إنَّا لِلهِ وإنَّا إليه راجعُون ، أُولئِكَ عليهم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم ورحمةٌ ، وأُولئكَ هُم المُهْتَدُون »، أما الثانية فعند حُلول المصاب تَفْقِد رُشْدَها ، وَيَضيع صوابها ، فيشتد هِياجُها ، وتصير كالغريق ، لا يَدْرِى كيف الخلاص ممـا دَهاه

الآنسة عديلة — صحيح ما تقولين . لـكن أظن أن جارتك خَفَّ حزنها نوعًا مَا فى الغداة ، عند حضور أهلها وصاحباتها ، لتعزِيَتِها فى مُصابها الأليم

السيدة عائشة — كان الأمر على عكس ما تَظُنّينَ : لأنهن زِدْنَ اللهب اشْتِعالاً . والحزن شدة ، كمن أراد أن يُطفئ ناراً فصب عليها زيتاً . فحين دخلْنَ المنزل ، ارتفع صوتهن بالصراخ كمن أُصيب بالصَّرَع ، وَوَلْوَلْن بعبارات تُثير الحزن من مَكْمَنِه ، وتبعث الوَجْدَ

من أعماق القلوب . وهذا ما يسمّينه بالعزاء ، فما أَشْنَعَه مِنْ عَزاء :

الآنسة عديلة — أ كان للمُتَوَفَّى جَنازة مُوَقَّرة ؟

السيدة عائشة — كانت على ما يناسب جهلهم : لأن أُمه أبت إلا أن يؤتى بموسيقى ، تَعْزِف أمامه بألحان محزنة ، وَجُنْدٍ يمشون أمام النعش ، على أنه لم يكن جُنْديًا ولا ضابطاً ، وما كان إلا تاجرًا متوسط الحال . ثم جىء بِحَمَلَةِ القماقم والمباخر . وسار فى مقدمة الجنازة فئةٌ من الرَّعاع القَذِرين يُنْشِدون ألفاظاً غير مفهومة . وفى مُؤَخَّرتها نسوة مُلَطَّخات الوجوه والأيدى بالطين و « النيلة » ، صائحاتٍ نائحاتٍ ، مُوَلْوِلاتٍ مُعْوِلاتٍ ، يُزْعِجْنَ المارَّة وَيَقْبِضْنَ النفوس بمنظرهن الشنيع

الآنسة عديلة — إن جميع ماذكرتِ قد أبطله العقلاء ، ولا يأتيه اليوم إلا الجَهَلةُ والغَوْغاء من الأمة . ولقد شاهدتُ فى طريق منذ يومين جنازة فى غاية المهابة والوقار : هى نَعْش يتبعه المُشَيِّعون أفواجاً ، سائرين صامتين ، مُطْرِقين كأَنْ على رؤوسِهِمُ الطير . فياليت كل الناس يحذُون حَذْوَهم ، إذِ الغرض من تشييع الجنازة الاعتبار بالموت والذكرى ، حتى تَخْشَعَ القلوب ، وترجع الأنفس عن غَيِّها ، وتعلم أن الدنيا عَرَضٌ زائل ، وأن الآخرة خير وأبقى ، والعاقبة للمتقين

الزار

ثلاثةٌ تَشْقَى بها الدارُ   العُرس والمأتم والزارُ

السيدة التى تفكر فى الزار وتَهْتَمُّ بشأنه ، وتَعْقِد له المُحْتَفَلات ، بعيدة عن التَّعَقُّل والرُّشْد ، مُحَقَّرة عند الرجال العقلاء ، مُنْتَقَدَة عند السيدات المهَذَّبات . فما أخجلَها أن يُذْكر اسمُها مَقْرُوناً بهذه العادة الذميمة ؛ وإن السيدة الكريمة العاقلة . لا يصح أن تشترى بالمال الكثير أنواع المَصُوغات ، تخزُنُها لوقت الاحتفال السنوى ، وتحتفظ بها فى صُندوق مُغْلَق ، لعلمها أنْ لا قيمة لها إلا فى ذلك اليوم المَمْقُوت. وما كان أجْدَرَها أن تشترىَ شيئاً مفيداً أو حُلِيًّا نافعاً : والذى يَزِيد هول المصاب ، ما يُنفَق لإعداد المأكل والمَشْرَب والذبائح لجماعات المدعوّات . فهل يليق بسيدات يَحْتَرِمْنَ أنفسهن وَيَخْشَيْنَ الله، أن يَعْقِدن أمثال هذه المُحْتَفلات ، التى يَخْرجن فيها عن سياج الوَقار والكرامة ؟ أَلاَ إنَّ الزار يُزْعِجُ الجيران ليلاً ونهاراً بطبل نعوذ بالله من صَدَاه : فهو يَصْدَعُ القلوب ، وَيَقْرَع الآذان ، ويُؤْذى الأعصاب السليمة . يَصْحَبُه تَرْنيم قبيح مَمْقوت ، يَمْلأ القلوب المطمئنَّة فَزَعاً وَوَجَلاً . ألا ترى هذه الجاهلةُ أن الأسَرات من حَوْلِها يطلبون الراحة فى سكون الليل البهيم ؛ وهى تحرمهم إياها بأقبح الوسائل ،

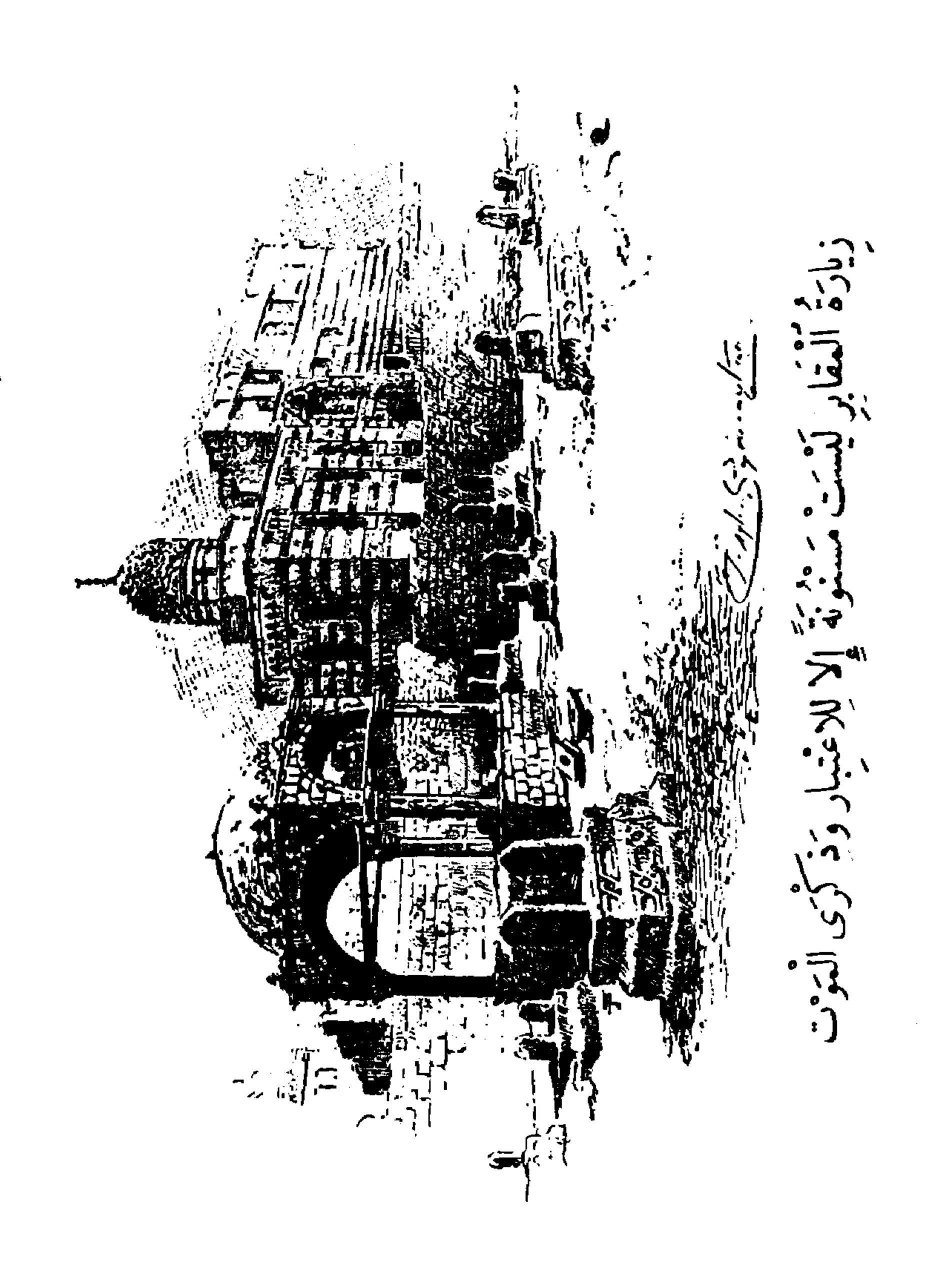
وأكرهِ المُنَفِّرات لِمَا يَجْلِبُهُ من الضرر ، وما يستدعيه من التبذير والإسراف ؟ فما هو إلا شَرَكٌ يُنْصَب لِسلْب الأموال ، ووسيلةٌ من وسائل فساد الأخلاق . ولا شيء أنفعُ لِعَصَبِيَّات المِزاج من تبديل الهواء والاستراحة . وَيُسْتَشار الطبيب إذا دعت الحال

زيارة المقابر

من العاداتِ الذميمة عند نساء مصر ، تردُّدُهُنَّ على المقابر والاهتمام بها . فإن المرأة إذا مات طفلها أو أحد أفراد اسرتها ، لا تَنْسَى أن تَتَوجَّه فى فجر كل يوم جُمُعة إلى مَدْفن الفقيد ، مُصْطَحِبَةً بعضَ قريباتِها أو جاراتِها ، حاملةً الكثير من المآكل والمشارب ، للتصدق به على من يطوفون بالمدافن والجبَّانات من الشحَّاذين ، مع أنَّ معظم هؤلاء النسوة أَحق بما يُنْفِقْنَه فى عمل الفَطير والكعك ، وشِراء الفاكهة وغيرها من شحَّاذى المقابر . هذا إلى أنهم ليسوا محلا للصدقة ، ولا أهلا للإحسان ، لاتخاذهم الشحذ حِرْفةً وذَرِيعةً للمكسب ، لا لِسدِّ الرَّمَق . فما أسْخَفَ ما تعمله النساء الجاهلات من الذهاب أيامَ الجُمَع والمواسِم والأعياد ، جماعاتٍ وَزَرافاتٍ ، تتعثرْن فى أذيالهن إلى المقابر ، كأنهن ذاهباتٌ لجلْب خير أو جر مَغْنَم . فما أقبحها مِنْ عادة مُسْتَهْجَنَة ، ليس فيها من فائدة للميت تَعودُ

عليه فى حياته الأُخْرَوِية

على أن زيارة القبور ليست مسنونةً إلا للاعتبار وذِكْرى الموت، فإن الذكرى تَنْفَعُ المُؤْمنين



زيارةُ المقابرِ ليستْ مسنونةً إلا للاعتبارِ وذِكْرى الموْتِ

زيارة الأضرحة

عائشة — إنكِ يا فِرْدَوْسُ لم تكُونى فى المنزل صبيحة أمس، لأنى ذهبت لزيارتك فلم أجِدْكِ، فأين كنتِ يا صديقتى ؟

فردوس — كنت قد خرجت مع جَدتى لزيارة السيدة زينب كما هى عادتها، فهى تزور السيدة فى يوم الاحد، وسيدنا الحسين فى يوم الثلاثاء، والمحمدىّ فى يوم الخميس. ولما كنت مريضة فى الشهر الماضى، نَذَرَت للسيدة حُزمةَ شمع ونصفَ ريال للصُّندوق إذا أنا شُفيت من مرضى، وها قد تمَّ لى ذلك فذهبنا لِوَفاء النذر

عائشة — وما فائدة هذه الزيارات للأولياء ؟

فردوس — تقول جَدتى : إن هؤلاء هم أهل الخطوة، وإن رضاهم عنا ينفعنا فى الدنيا والآخرة. ولذا فهى تَتَرَدَّدُ على أَضْرِحَتِهم وتُقَبِّل عَتَبَاتِهم وسِياجَ قبورهم، وتتوسل بهم لقضاء حاجاتها وتفريج همومها، وإبعاد المصائب والأمراض عنها

عائشة — إن هذا يا أختى لَضَلال مبين : فإن الذى يَقْضِى الحاجاتِ، ويُفَرِّجُ الهمومَ، ويُبْعِد المصائب، ويَشْفِى الأمراض، هو الله جَلَّ شأنُه، لا شريك له فى ملكه، ولا يصح أن نعتقد غير ذلك. وتقبيلُ الحجارة والعُمُدِ، وكذا التَّيَمُّن بالنُّحاس المصنوع

منه السياج ، والصِّياح بطلب قضاء الحاجات من صاحب الضريح ، كل أولئك من الإشراك بالله .

فردوس — إذًا أنتِ تعتقدين أن هؤلاء الأولياء كعامّةِ الناس لا يمتازون عنهم بشئ !

عائشة — لا ياصديقتى ، فإنهم يمتازون بصلاحهم وتَقْواهم وَمُؤَلَّفاتهم الجليلة النافعة ، ونصائحهم وإرشادهم فى حياتهم . فاحْتِرامُنا لهؤلاء الأولياء هو باتِّباع نصائحهم الدينيـة والأدبية ، والاسترشاد بآرائهم السَّديدَة وعِظاتهم البالغة لا غير ولو علموا رضىَ الله عنهم بما يُصنَع فى أَضْرِحتِهم من هـذه المنكَرات لاسْتَقْبَحوه واستغفروا الله منه

الحُجُبُ والتَّمائِم

سعاد — ما هذا الذى تحت إبْطِك يا زينب ؟

زينب — هـذا حجاب أَلْبَسَتْنيه أُمى يوم ولادتى ، ولَمَّا كَبِرْتُ حَذَّرتنى خَلْعَه حتى وقت النوم

سعاد — ألم تسأليها عن السبب ؟

زينب — بلى ، فقد قالت : إنه مات لهـا عشرة أطفال قبل أن أُولد ، فأَرْشَدَتْها إحدى جاراتها إلى رجل وَرِع ، يعْتَقِدُ صَلاحَه وتقواه جميع أهل الخُط ، فكتب لها هذا الحجاب وأوصاها أن

تُلبِسَنيه عند ولادتى ، ولهذا عشت ولم أمت مثل إخوتى .

سعاد — وهل أعطته أُمك شيئاً ؟

زينب — تقول : إنهـا كانت تملِكُ سِوارًا من ذهب ثَمَنُه ثمانية جنيهات ، فباعته وأعطت هـذا الرجل خمسة جنيهات لأنه لم يرْضَ بأقلّ من ذلك

سعاد — إذاً قد اشترت حياتك بخمسة جنيهات ، ولولا ذلك لـكنت فى جملة الأموات

زينب — فَسَترى ما شِئْتِ ، فالأمر كما أوضحته لك

سعاد — ما أقبح الجهل فإنه يُعمى الأبصار ويُلْقى بصاحبه إلى التَّهْلُـكَة ؛ ألا تعلمين أن الحياة والموت بإذن الله تعالى ؟ وأن لـكل أجل كتابا ؛ وأن الله لا يُشْرِكُ فى حكمه أحـداً من عباده ، حتى الأنبياء والمرسلين أنفسهم؛ فاعتقاد مِثْلِ هذا مخالفٌ للشرع الشريف، ولولا الجهلُ الضارب أطْنابَه بيننا لما وُجِدَ أمثالُ هذا المحتال : هـذا نوع من السلب والخديعة ، وتَفَنُّن فى الغش وسلب المـال

زينب — إن كلامك لَمُؤَثِّر جدا ، ولا سيما ان أُمى فقيرة ، ولم يمكنها حتى الآن تعويضُ السوار

سعاد — الآن وقد كَبِرتِ يازينبُ ، وتعلمتِ وتبيَّن لك الحق، يَحْسُن أن تَنْزِعى هذه التمائمَ ولا تُضحِكى العقلاء منـك ، واجعلى ثِقتَكِ فى الله عز وجل ، فهو عـلاَّمُ الغيوب ، يحيي ويُميت ، وهو على كل شئ قدير



هذا دجال يحتال على ضعيفات العقول بكتابة الحجب والتعاويذ

زينب — إننى أطيعك فيما تقولين : وهأنذا أنزع عنى هـذا الحجاب ، وسأخبر أمى بنتيجة هذا الحديث، لِتَنْصَحَ جاراتِها وأقاربَها بعدم إتيان ما يُماثل ذلك فى المستقبل

قياس الأثَر

ذهب رجل لزيارة أُخته فى منزلها فلم يجدها ، فسأل عنها ابنتها فقالت: إنها حملت ابنها الرضيع، وذهبت لتقيس له الأثر ، لأنه مريض منذ عشرة أيام ، وهو يَسْعل سُعالا شديدا ، وحرارة جسمه عظيمة . فقال الرجل: وهَلْ عُرِض على الطبيب ؟ فقالت الفتاة: لا ، لأن أُمى ترى أنْ لا فائِدَةَ فى الطِّبّ والأطباء ، وقَصَرَتْ هَمَّها على العلاج بالطرق الوَهْمِيَّة الخرافية : فأرسلتْ أخى ثلاثة أيام متوالية للمرأة التى تَلْحَسُ الأطفال ، فلم تحسن حالته ، بل انقلبت إلى أسوأْ ، ثم بخَّرته ببَخُور البر والمُصْطَكى وكُناسة العطار ، فلم يُجْدِ ذلك نَفْعاً . فدعت الرجل الذى يَمُرُّ على الأبواب قائلا إنه يخْرِج الدُّود من أُنوف الأطفال . فوضع يده على رأس أخى وصار يُهَمْهِمُ بكلام لم نفهمه ، فتساقط الدود من أنفه كثيرا ، وأنا لم أُصَدِّقْ أن كل هذا الدود كان فى أنف أخى . على أن ذلك كلَّهُ لم يُثْمر ، ولما أَعْيَت الحِيَلُ أمى، ذهبت لمن يقيس الأثر ،فلما رأى الولد،أعطاها ثلاث ورقات مطوية،



حملت ابنها الرضيع وذهبت لتقيس له الأثر

وأوصاها بتبخيره بها ثلاثَ مرات فى ثلاث ليال متوالية ، وقال لها : إنْ عاش بعد ذلك فأحضريه لأراه مرةً أخرى . وقد فعلتْ لأن هذا هو اليوم الرابع بعد زيارتها لهذا الدَّجال . فلما سمع الرجل ذلك الكلام خرج مُسْرِعا ، واستدعى طبيبا . ولما عاد وجد أخته قد رجعت ، فسألها عن حال الطفل ، فقالت : إنها سيئة ، وكلَّ يوم لا يزداد إلا وبالا ، وقد أعطانى الشيخ عاشور ثلاثَ ورقاتٍ أُخرى ، وإنى قد يَئِسْتُ . فقال الرجل : إنكِ ياأُختى قد جرَّبتِ كل شئ إلا الطبيب . فأجابتْ: إننى لا أحب الطب ولا الأطباء ، فان والدتنا رحمها الله كانت دائما تَنْهانى عن إدخال الطبيب مَنْزِلَنا ، لانْ دخوله شُؤْم . فقال : يا أُختى إنى قد استدعيت طبيبا إخصائيا فى أمراض الأطفال ، وها هو جالس فى غرفة الاستقبال ، فلا تمانعينى أن أعْرِضَ عليه الولد ، لَعلَّه يصف شيئاً يُحَسِّنُ حالته . فقالت افعل ماشئت .

ففحصه الطبيب ، واتضح له أنه مصاب بالحمَّى ، وحالته مُخْطِرَة إن لم يُسْعَفْ بالدواء . فكتب تَذْكِرَةً استُحضِرت على عَجَل ، وأُعْطِىَ الطفلُ الدواءَ على حسب إرشاد الطبيب ، فانخفضت درجة حرارته ، وأخذَتْ حالتُه تحسن شيئا فشيئا ، ونام تلك الليلة نوماً هادِئاً . فلما رأت ذلك أُمه واظبت على اتباع العلاج حتى شُفِىَ تماماً بعد أيام قلائل . فما كان أغنى هذه الأم عن اتباع خُطُوات الجهل والتَّماُق بأهدابه ؛ وما كان أوْلاها من أوّل الأمر أن تَدْرَأَ المرض عن ولدها بالعلاج الشَّافى !

فعليكِ أيتها الفتاة العاقلة أن تَتَّعِظِي بهذا الحادث وما يُماثله ، إن فى ذلك لَعِبْرَةً لِأولى الألباب

مضار تخويف الأطفال

كثير من البنات قد سمع كلمة « بعبع » مرارا وتَكْرارا ولكن لا يعرفْن معناها . ولو قالت إحداهن « بعبع بعبع بعبع » بصوت عال لكانت كأنها تقَلِّد صوت الجمل . وهذه هى الكلمة التى ارتعدت منها فَرائِصُ الاطفال،وسكت بها الحس ، وربما تَشَنَّجَتِ الأعصاب. والسبب فى شُيُوع هذه الكلمة ، أن أُمًّا من الأمهات الجاهلات بكت ابنتُها الطفلة الصغيرة ، فبَدَلَ أن تَبْحَث عن سبب بكائها ، وتُعْمِلَ جُهْدَها فى علاجه ، أحدثت لها هذا الصوت المُستَنْكَر ، مشفوعا بقولها : ها قد جاء ليأكلك . فتتوهمه الابنة حيوانا كاسِرا ، قد أتى لِيَغْتال حياتها ، معتقدة صحة هذا الخيال الباطل، لانها طِفْلة ليس لها عَهْدٌ بالكذب ، فتسكت على مَضَض ، فترتاحُ الأُم غيرَ حاسبةٍ أنها إنما تربى فى ابنتها الخوف والرُّعب ، الذى ربما تحدث منه الوفاة فَجْأَةً

ومثل « البعبع » جميع الأفانين الباطلة التى تخترعها الأمهات الجاهلات ، لتكون وسيلة سَهْلة لِكَبْح جِماح الطفل ، والحَيْلولة

بينه و بين أغراضه . إذ لا يعرِفْن لذلك وسيلةً أُخرى ، فينشأ هيَّاباً
وَكِلاً ، خائر القوى ، يَفْزَع لصغار الحوادث ، ولا يَقْوَى على مُواجهة
صرُوف الايام



الخوفُ والفزع

فأين هذه الأم مِنْ تلك الأم الراقية ، التى تُرْضِعُ طفلَها مع
اللبن ثَباتَ الجَنان والشجاعة ، فلا تجعل للخوف والفزع سبيلاً إلى
فؤاده. ألاَ إنَّها بذلك تُعِدُّه لِمُلاقاة الشدائد ومُقارعةِ صُرُوفِ الدهر،
وبمثله تَعِزُّ الأمة ، ويشتد ساعِدُها ، ويُحْمَى حماها

دعاء الأم على أولادها

« بين رجل وزوجته »

الرجل — لماذا كلُّ هذا السُّخْط وهذا الدعاء على ابنتك ؟

الزوجة — لقـد زَهقَت رُوحى منها وهى لاتسكت ولا تَهْدَأ

الرجل — وماذا عمِلَت ؟

الزوجة — إنها تماكس أخاها الصغير فيصْرُخ ويتألم

الرجل — وهل تعمل هذا دائمـا ؟

الزوجة — هى لا ترجع عن مماكسته وَخَطْفِ مابيده فيُكثر من الصَّخَب وتعلو الضَّوْضاء

الرجل — وهل وَجدْتِ أن دعاءك عليها على هـذه الكيفية الشنيعة، وصُراخَك فى وجهها ، وإزْعاجها ، تُرجعها عن غيها ، فتنتهى عن أعمالها هذه ؟

الزوجة — كلا، فإنها تزداد عِناداً ؛ ولقد سَئِمْتُ العيشة معها

الرجل — الحمد لله قد تبين لك أمر كان خَفِيًّا عليك . فالواجب أن تَرجعى عن هذا الصُّراخ والعَويل لترجع هى أيضاً

الزوجة — وهل هى تعمل ذلك لأنى أَشْتِمُها وأدعُو عليها ؟

الرجل — لا، بل إن غرضى أن تفكِّرى فى شئ ناجع غـير

هذا السبّ واللعن . فلو جئتِ إليها بهدوء ، وأفهمتها بأسلوب لطيف ، أن عملها هذا مع أخيها غير محمود ، أو لو عاقبتها بأخذ لُعبتها منها أو حِذائها الجديد ، أو بحرمانها من فسحة معك ، لكان أنفع . فاذا هى استقامت وَحَسُن سلوكها فى معاملتها له ، فرُدّى إليها ما أخذت ، وارفعى عنها ملامَك وعقابك ، بشرط أن تفهم أن مثل هذا العقاب واقعٌ بها إنْ هى عادت

الزوجة — هذه ابنة لا ينفع فيها شئ

الرجل — جرّبى ما أقول ترتاحى . وإنى آسِفٌ إذْ سمعتُها يوما وقد أغضبها أخوها تدعو عليه بكلام مثل الذى تسمعه منك . فأنتِ مثالٌ غيرُ حَسَنٍ لها . هذا إلى أنَّ هذه الشتيمَة الكريهة هى لغة لا تفهمها هذه الطِّفْلة ، ولا تؤثر فيها مطلقا . فأمامك أحد أمرين : فإما عقابها بنحو ما قلت ، و إما أخذها بالحيلة . وأما هذا الدعاء فيَحُطُّ من كرامتك بين الناس . والسيدةُ الأوربية تدعو ابنتها ، وتوقفها أمامها ، وتكلمها فى ذنبها بما تفهمه ، وتبينُ لها عيوبها ، وتُهدّدها إنْ دعت الحال ، وتنفِذُ فيها عقابها . وكل ذلك يؤثر فى الطفل إذا تم بنظام وتَعَقُّل

الأختان

كان لأحد الناس ابنتان : ربى كُبراهما بالمنزل ، فلا تعرف غير الطبخ ، والكنس ، والمسح ، وخدمة البيت . وكان للصغرى حظ الذهاب إلى المدارس ، فتعلمت القراءة والكتابة والحساب ، ونالت الشهادة ، ثم دخلت مدرسة المعلمات، فحصلت على شهادتها أيضاً ، وصارت مُدرّسة بإحدى مدارس البنات . وكان أبوهما يجلس إليهما، ويُنْصِتُ لِمَا يدور بينهما من الحديث والمباحثة . فيقع النِّضال والخلاف بينهما بحكمة ما بين عقليْهما من التباين ، فكان كثيراً ما يُصلح بينهما . فدار الحديث يوماً كما يأتى :

الكبيرة — إن ابنتى منذُ رأتها بائعة البلح ، لم تفِقْ من المرض ، فكأنَّ عينها سهم قد أصاب أحشاءها !

الصغيرة — لا يا أُختى أنت تظلمين هذه المرأة ، وإنما الذى أَمْرَضَ ابنتك هو البلح الكثير الذى أكلته

الكبيرة — كُلُّنا يأكل البلح وكل الأطفال تأكله ، فهذا سبب غير صحيح

الصغيرة — إن الأطفال الصغار يجب ألا يُكثروا من أكل البلح ، لا سيما غير الناضج منه . إن ابنتك لا يمر بائع بالباب حتى

تستوقفهُ وتشترىَ من مَبيماته القَذِرة ما يُفسد معدتها ، وأنت تساعدينها على ذلك

الكبيرة — هل تُنكرين العين ، وقد مَرِضْتِ يومين بعد ما خَرَجَتْ من عندنا جارتنا وابنتُها ، وكنتِ لابسة ملابسَ جميلة ، وتتكلمين بأفصح عبارة عن مدرستك وراتبك فيها ؟

الصغيرة — أنت واهمة يا أُختى : فإنى لم أَمْرَضْ إلا من تساهلى بعد الخروج من الحمام الحار . فقد لبست بسرعة لأقابل هذه السيدة ، وقعدت أمام النافذة وكانت مفتوحة ، فحصل لى ما حصل . فيجب أن تبحثى دائما عن الأسباب الحقيقية وتَطرَحِي الأوهام

الكبيرة — هذا لا يمكن ، ولا أرجع أبداً عن التبخر بالبَخُور كل ليلة ، لمحاربة العين الخبيثة

الصغيرة — إن هذا البخور جميل الرائحة ، ومن خواصه أنه يُدْفِئ المحِل ، فترتاح الأجسام إليه وإلى رائحته . فهذا سِرُّ البخور وليس له تأثير فى العين كما تعتقدين . هذا وإنى متكدرة لعدم كنس البيت وتنظيفه يوم الجمعة ، وهو اليوم الذى يرتاح فيه والدنا فيجده قَذِرًا :

الكبيرة — يستحيل أن نكنُسَ يوم الجمعة لأن هذا حرام

الصغيرة — إن اعتقادك هذا هو الحرام بعينه . ولا يليق أن نجلس والغرف من حولنا قذرة ، لاعتقادٍ لا قيمة له . نعم يحسن أن نجتنب العَجْن والغَسْل فى يوم الجمعة ، ولكن لا لهذا المُعْتَقَد الفاسد ،

بل لأنه يوم الراحة للجميع ، وفيه يكون والدنا معنا طول النهار

الكبيرة — بنات المدارس لهنّ أفكارٌ غريبة ، فلا يُصدِّقن بملائكة تنفِرُ من الكنس ، ولا بعفاريتَ تسكنُ البيوت ، بل لهن تآويلُ شتّى فى ذلك !

الصغيرة — من العيب يا أُختى وقد بَلغت هذه السن أن تخافى من وجودك وحدك بالمطبخ ليْلاً خَشْيةَ العِفْريت ! وأغربُ من ذلك أنك تَصْحَبين ابنتك الصغيرة لتحميَك منه ، ولا تستطيعين الذهاب بدونها ! فهل يعجزُ عفريتُك الوهميُّ أن يضرَّك وهى معك ؟ مِسكينة هذه الطفلة : تَبُثّين هذه الفكرة فى ذهنها من الصغر فتكبر معها كما كبرت معك . فلا عفريت يَشُقُّ الحائط فيظهر منه ، أو يخرج من الارض فيَخْطَف الناس . ولم نسمع أن حادثاً كهذا قد وقع ، اللهم إلا فى الأقاصيص الخرافية . فان كنتِ لا تُشفِقين على نفسك من هذه الأوهام ، فارحمى ابنتك ، ولا تُلَقِّنيها إيَّاها

وما زالت الفتاة المتعلمة تلقى على أُختها الجاهلة أمثالَ هذه الدروس ، حتى نجحت فى إخراجها من الظلمات إلى النور ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

السعادة المنزلية

ما لذةُ العيش بكثرة المال ، ولا تَعَدُّدِ الخدم والحَشَم : فكمْ مِنْ منزل لا يَرُوقك مَنْظَرُهُ ، وهو فى الحقيقة جامِعٌ لأسباب الراحة وهَناءَةِ العيش والسعادة . وكم من قصر مُنِيفٍ تُرَى عليه آياتُ الجلال والجمال ، تَكْنُفُهُ الحدائق الغنَّاء ، وتجرى من تحته الأنهار ، وتُغَرِّد على أفنان أشجاره الأطيار ، تَخْضع لربه رقابٌ وتَعْنو له وُجوهٌ، ولكنه قد حُرِم هو وأفرادُ أسرته لَذَّةَ الحياة ونعيمَ العيش

أتعرفين أيتها الفتاة مَنْشَأَ السعادة فى البيت الأول على حقارته، وسبَبَ التَّعْسِ فى الثانى على اتساعه وعظمته ؟ إن معظم السبب يرجع إليك فى كِلْتا الحالتين . فربة البيت هى بمثابة الرُّوح من الجسد : فكما أن الروح هو الذى يَنْشُر الحياة فى الجسم ، كذلك السيدة فى منزلها ، فهى رُوحهُ الذى به يحيا ، والنور الذى يَسْطَع ، فيضئ كل ركن من أركانه . وهى له أيضاً كالقلب للجسم ، فاذا سكنت حركتها انقطعت حياته . وهو لا يَعْمُر ، ولا يُسْعَدُ أهله ، ولا تنتظم شؤنهم ، إلا إذا كان مشمولا بِرِعاية سيدة عاقلة ناضِجة الفكر ، سَدِيدَة الرأى . وعلى نسبة عقلها وتدبيرها تكون درجة ارتقائه وانتظامه :

فإن كانت السيدة مُثقَّفَةَ العقل ، نشيطة ، مُدَبِّرة ، حَسنة التصرف في مالها وَخَدَمِها وَعَشيرتها ، كان لمنزلها من وراء ذلك من أسباب السعادة والراحة ، ما يُغْبَطُ عليه مهما كان صغيرًا حقيرًا ، وكان هـذا مُشَجِّعًا لزوجها على احتمال المصاعب والمتاعب في سبيل العمل في معترك الحياة . أما الكسلانة النَّئُوم ، المعتمدة على الخدم ، المُبذِّرةُ لمالها ، التي لا هَمَّ لها إلا التزيُّن والوقوفُ أمام المرآة ، واستقبال الزائرات ، وردُّ الزيارات ، فبيتها مُهْمَلٌ قَذِر ، وأولادها فاسدو الأخلاق لعدم من يُراقب شؤونهم ، ويلاحظ أحوالهم النفْسيَّة ، اللهم إلا الخدم وهم على ما نعلم من سُقُوط الآداب وانحطاط النفوس

ومن نتائج هذا الخلل العام أيضاً أنَّ ربَّ البيت يكره أن يَأْوِيَ إليه ، لأنه ليس جامعاً لأسباب راحته . فلا يجد الطعام حين يطلبه مثلا . وإذا دخل غرفة ألفاها قَذِرَةً غير مرتبة ، لإهمال السيدة أمْرَ الخدم ، والقِيامَ عليهم ، لاشتغالها بأمر نفسها ، وإفراطها في تدبير شخصها

فَحَذَارِ حَذارِ أيتها الفتاة من مثل هـذا . وادأبي على العمل بنفسك ولا تهملي ، فرُبَّ إهمال جرّ وبالاً . ولا تَرْكَني إلى الخدم ، واسلكي سبيل الهمة والرشاد ، تفوزي برضا الله والناس أجمعين .

ولمثل هذا فليعمل العاملون

الاستقلال المنزلى

نبيلة — هل تزورك فريدة كثيرًا ؟

زينب — نعم تزورنى كثيرًا ولكن لا أرد لها زيارتها لأنى غير راضية عن سلوكها معى

نبيلة — ولماذا ؟ إنى أعلم أنها تحبك حبا جما

زينب — لقد عرفتها ذات وجهين: تظهر المحبة أمامى ثم تتكلم بما يُؤلمنى فى غيابى

نبيلة — أظنك مخطئة يازينب ، أو ربما أَوْقعَ بينكما من يَحْسُدُكما على صداقتكما

زينب — لا بل بلغنى ما تقول ممن لا أشك فى صدق روايته. وقد كنت أُرسل إليها فى طلب بعض الأشياء المنزلية ، وما كان ذلك إلا لامتناع التكلف من بيننا ، وما كان لهذه السيدة من المكانة فى نفسى ، فكانت تقابل عملى هذا بالانشراح

نبيلة — وهل كانت فى كل مرة تبعث إليك بما تطلبين ؟

زينب — نعم . ولكن كانت كلما ضَمَّها مجلس تقول إنها متضايقة جدًّا من مطالبي الكثيرة . وكانت تَهْزَأُ بى وتَسْخَرُ . فاذا كانت معى لا تَدَّخر وُسْعًا فى ملاطفتى ومؤانستى !

نبيلة — حقا إن هـذه أخلاق لا تليق بالسيدات الطيبات . فـكان ينبغى أن تستُر لك هذا العيب ، لأن استعارة الأشياء المنزلية فى رأيى عيب ونقص ، وليس أحلى من الغنى عن الناس

زينب — ولـكنها هى التى كانت تسهّل لى هذه الاستعارة ، فلا تسألى عن مقدار عَجَبى من انقلابها وتغيرها !

نبيلة — إن المرأة المنافقة ذات الوجهين ضارة جدًّا ، ويجب الاحتراس منها والابتعاد عنها . ولـكنك يا زينب كنت مخطئـة فى هذه الاستعارة

زينب — وماذا كنت أعمل وأنا فى حاجة إلى كل هـذه الأشياء ؟

نبيلة — من النساء من تفضل أن تبقَى فى حاجـة عن أن تقترض ولو من أُختهـا . وقد كان بالاقتصاد يمكنك الحصول على كل ما ينقصك شيئاً فشيئاً

زينب — إنى أُقرض جارتى أحياناً شيئاً من العسل أو البُن أو المخلّل أو غيرها

نبيلة — إنى لا أنظر الآن إلى جارتك بعـين الاحترام : إذ من اللَّيَاقة ألا تُزْعج الواحدة جارتها كلَّ يوم بمثل هـذه المطالب . أما الهدية فلا بأس بها . ولقد كنا نتعلم الاستقلال المنزلى فى المدرسة بطريقة لطيفة ، إذْ كانت إحدانا إذا طلبت نَشَّافَةَ الأخرى أو قلمها

أو مسطرتها مثلا منعتها معلمتنا ، وحتّمت أن يكون لدى كل تلميذة جميعُ أدواتها . فهي بذلك تنبهنا الى فضيلة الاستقلال المنزلي

الجنة تحت أقدام الأمهات

عمّتي من أعرف السيدات بالواجب عليها نحو زوجها وأولادها وبيتها . فهي لذلك سعيدة محترمة محبوبة : تقوم في الصباح مُبَكِّرة والكل نِيامٌ ، فتتحرك بِتؤَدة وهدُوء حتى لا يَشْعُرَ بها أحد . ثم تذهب فتُصلِحُ من شأنها وتصلي . فاذا حان الوقت، أيقظت أولادها بلطف لأنها تخشى عليهم الانزعاج . فإذا قاموا واشتغلوا بإعداد أنفسهم للخروج كلٌّ إلى وِجْهَتِه ، شرعت تهيئ لهم طعام الإفطار ، فيجلسون جميعاً على المائدة فيأكلون ويتحادثون بكل فَكِيهة مُسْتَمْلَحَة . فإذا خرجوا وتركوها وحدها أخذت في ترتيب الأثاث وتنظيفه . ثم تتفرغ للطبخ ، فتجهِّز الطعام بيدها مع الحرص على نظافة ملابسها . فإذا تم الطعام أعدّت نفسها لاستقبال زوجها وقد رجع من شغله تَعِبا مجهودا . فيرى الدار ساكنة ، هادئة ، نظيفة ، مرتّبة. فإذا جلس للطعام لا يسمع إلا أحاديث سارّة وأقوالا مُرِيحة ، فلا شكوى ولا عتاب ولا تَضَجُّر . ثم تتولى بعد الغداء تنظيف المائدة وغسل الأواني ، ثم تستريح . فإذا رجع أولادها من المدرسة ،

استقبلتهم بالبشاشة والهَشاشَة ، ونظرت فى أمر راحتهم ، سائلة كُلا عما تَمَّ له فى يومه الدِّراسى . فإذا جَنَّ الليل رفْرَفَ على بيتها السلام ، وشَمِلَتْهُ السعادة . وهكذا الأمهات الصالحات ، وبمثل هذا تكون « الجنة تحت أقدام الأمهات »



الجنة تحت أقدام الأمهات

جـ ـ فى الحكايات

العبرة بالأدب

أعلنت مديرة أحد المستشفيات الكبرى بأوربَّا حاجتها لفتاة متعلمة ، لتساعدها فى الأشغال الكتابية الخاصة بالمستشفى . وحددت مَوْعِدًا لفحص المرائض . فتقدم لهذه الوظيفة فتيات من جهات مختلفة . وفى الميعاد المحدد جلست المديرة مع اثنتين من طبيبات المستشفى فى إحدى الغرف ، وفحصْن هذه العرائض ، وقابلْن الطالباتِ واحدة فواحدة . فلما انتهيْن منهن جميعاً ، قالت المديرة : إن اختيارها صادف للفتاة فلانة . فسألتها إحدى الطبيبتين عن سِرّ هذا الاختيار مع أن هناك مَنْ هُنّ أفضل منها . فأجابت بأنها فَضَّلَتْهَا لِمَا لَحِظته فيها من الآداب ورُقِيّ الأخلاق : فإنها قبل أن تدخل الغرفة نَقَرَت الباب نَقْرَة خفيفة استئذاناً ، ثم دخلت ولم تترك الباب مفتوحاً كما فعلت كثيرات قبلها ، ثم أقبلت علينا بأدب وابتسام ، ولما صادفت فى طريقها هذا الكتاب الذى كنت قد طرحته على الأرض قصداً لم تَتَخَطّه كما فعل غيرها ، بل رفعته من طريقها ، ووضعته على المكتبة بأدب ولطف . فلما خاطبتُها وتأملتُها رأيتُ أنها نظيفة الثياب جدا ، نظيفة الاسنان ، مُقَلَّمة الأظافر . هذا إلى أنه قد اتضح لى من

محادثتها أنها رزينة ، تبدو عليها علاماتُ الحشمة وسِماتُ الوقار . فكل ما قدمته من الأوصاف مميزاتٌ تمتاز بها . أليس كذلك ؟ فأقرت الطبيبتان رأيها واستحسنتا الاختيار ، وفازت الفتاة بفضل آدابها وجميل خصالها

مصاحبة غير النُّظَراء

يحكى أن زاغا* صادف ريش طاوُس فلَبسَه وطار ، حتى إذا رأى سِرْباً من الطواويس انضم إليه ، مُوهِماً أنه واحد منهم . ولما خالطَتْه الطواويس وتبين لها حقيقة أمره ، وعرفت أنه دخيل فيها ، انقَضَّت عليه ، ومزقت بمناقيرها ذلك الرداء المستعار ، ولم يتمكن الزاغ الغِرُّ من النجاة بحياته إلا بِشِقِّ الأنفُس . ثم أراد الرجوع لجماعة الزِّيغان التى كان عائشاً فيها من قبل ولكنها كانت قد عرفت ما أتاه ذلك الأحمق المفتون ، وأنه أراد أن يَترَفَّع عن البيئَةِ التى نشأ فيها . ولكن هَيْهاتَ أن يصل إلى بُغْيَتِهِ : إذْ رفضته وأبت كلَّ الإباء أن تقبله ، قائلة له : إن عودتك إلينا لم تكن حُبًّا لنا ولا رغبة فينا ، بل هى الضرورة ألجأتك ، فاغْرُبْ عنا وإلا أجْهَزْنا عليك . فذهب المسكين وعاش حقيرا ذليلا ، وَنَحَلَ جسمُه ، وتساقط ريشه من الذُّل

* هو غراب صغير يميل الى البياض

والوحْدة ، فمات حزناً وَكَمَدًا . وهـذا عقاب المغتر الذى تحدثه نفسه أن يهجر أهله وخلانه الأقدمين. متطلعاً لمعاشرة مَنْ هُمْ أرقى منـه شأناً وأعلى مـكانَةً ، فلا هو مقبول فى الثانية ، ولا حافظٌ مكانتـه فى الأولى

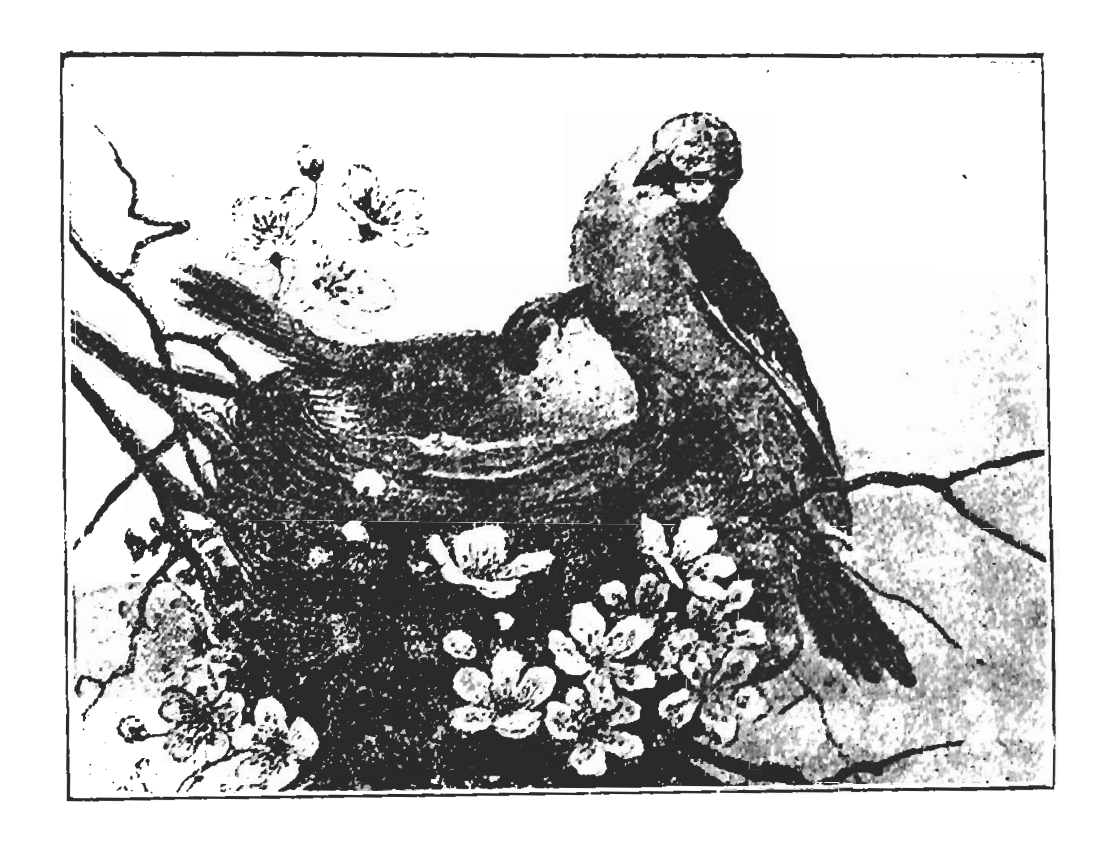


زَاغٌ مَفْتُونٌ بِرِيش الطاوُس

فعلى الفتاة ألا تنظر إلى مَنْ هُنَّ أرقى منها ثروة أو جاهاً ، وتتّخذَ لنفسها منهن مثالًا تَنْسُجُ على منواله فى إعداد ملبسها ، وتحمّلَ أهلها فى شرائه وتَهْيِئَتِهِ ما لا طاقةَ لهم به ، ثم تنضمَّ إلى السيدات المُثْرِيَات اللائى لا تَجْمَعُها وإيَّاهُنَّ أَواصِرُ نَسَبٍ ولا لُحْمَةُ قَرابة ، وذلك للرغبة فى الصِّيتِ الكاذب ، وحب الفَخْفَخَةِ والعظمة الباطلة ، فتُصبِحَ بذلك منبوذةً ملفوظة مُحقّرة ، وتكون موضع السُّخْرِيَةِ بين الناس أجمعين

الرِّيبة وسُوء الظّن

عاشت عُصفورتان فى صدق ووفاء ، ومحبة وإخاء ، مدة من الزمان . فخرجت إحداهما ذات يوم إلى أحد البَيادِرِ ، فجمعت قمحاً كثيرًا ملأت به العُش ، وقالت لأختها : إنّ ما نَخزُنُه اليوم فى وقت الرَّخاء ينفعنا غدا وقت الشدة والعناء . فقالت لها: نِعْمَ ما فعلت ، والعاقل من يُعِدُّ للأيام عُدَّتَها حتى لا يَمُدَّ يده بالسؤال والمَسكَنة . واتفقتا على ألا تأكلا من هذا القمح شيئاً . وكان القمح نَدِيًّا فامتلأ به العش . فلما جاء الصَّحْوُ جَفَّ فصغُر حَجْمُه ، وظهر أقلَّ مما كان عليه من قبل . فظنت أن صاحبتها قد أكلت منه فى غيابها . فأقبلت عليها تلومها وتُعَنِّفُها ، فأقسمت لها أنها لم تقْرَبْه قَط ، وأنها على وعدِها



لها ، فلم تصدّقْها . وما زالت فى لومها وعَتْبها حتى ضاقت صاحبتُها ذَرْعا ، وكرِهَتْ المُقام معها فغادرت العُشّ وما فيه ، وانطلقت هائمةً على وجهها . وبقيت الأخرى وَحِيدَةً كئيبة حتى جاء يومٌ مُمْطر ، فابْتَلّ القمح ورَجع إلى حالتـه الأولى . فأدركت الحَمْقاء خطأَها وعرَفتْ عاقبة سوء الظن ، فأقبلت على نفسها باللوم والتعنيف والبكاء والنحيب إلى أن ماتت .

صداقة الحيوان

عنـدي قِطةٌ بيضاءُ ناصعٌ لونُها تَسُرُّ الناظرين ، ولهـا ثلاث هُرَيْرَاتٍ تُرضِعُها وَتتعَهَّدُها ، وتراعيها كما تراعى الأم العاقلة أطفالَها . ولبياضها الناصع سمَّيتُها « يسمينة » وهى تحبنى وأحبها : فكلَّ يوم عند حلول ميعاد عَوْدَتِى من المدرسة تستقبلنى على باب المنزل ، وتُقْبل علىَّ ، وتقفِزُ على كَتِفِى ، وتلاعبنى بلطف وائتِناس . وإذا أمسكتُ رِجاها



صَدَاقَة الحَيَوان

لا تؤذيني بمخالبها ، لأنها تعرف أنني أُشفِق عليها . أما طعامها فخبز مَفْتُوتٌ في اللبن . ولا أعطيها شيئاً من اللحم ، لئلا تعتادَ أكله ، فتصير وَحْشِيّةً كالحيوانات المفترسة

وَمِنْ غريب ما حدث لي مع « يسمينة » أنني كنت مريضة يوماً من الأيام فانقطعتُ عن المدرسة . فلازَمَتْني ولم تَبْرَحْ غرفتي غير دقائق معدودة ، وصارت تحوم على سَرِيري ، وتقف أحياناً عند رأسي ، ولم تتناول من الغِذَاء أثناء النهار إلا قطعة صغيرة من الخبز . وكلما وضعوا لها طعاماً أعرضَتْ عنه على خلاف عادتها ، فكأنها من بنات آدم لا تشتهي الطعام عند شعورها بغم أو حزن

ولما أبلَلْتُ من مرضي وقمت من فراشي ، صارت تجتهد بما لديها من الوسائل أن تُدخِلَ عليَّ السرور : فأخذَتْ تأتي بضُرُوب الوَثْب والمُلاَعبة ، والدَّوَرَان حول نفسها مُتابِعَةً النظر إلى ذيلها ، وهَلُمَّ جرًّا . وسيكون لِهَذِهِ القِطَّة عندي من جميل الذكرى ما لا أنساه طولَ حياتي.

تِلْكُنَّ أيتها الفتيات حالة قطة مع ابنة صغيرة ، نشأت بينهما الألفة والمحبة ، بفضل حسن المعاملة وجميل المعاشرة . فلْيكنْ لَكُنَّ من هذا المثال موعظةٌ حسنةٌ ، في إكرام الحيوانات العُجْم والإشفاق عليها والرِّفق بها . فإنّ فيها لنا منافعَ جَمّة ، ولا ينبغي أن يُقابَلَ الجميلُ بالإساءة . إنّ في ذلك لعبرةً لأولي الألباب

الرّفق بالحيوان

إن بعض الناس ممن فُطِرَت قلوبهم على الشدة والغِلْظَة، يعاملون الحيوان معاملة قاسية ، حاسبين أن هـذه العَجْماوَاتِ لا تَشْعُرُ ولا تتألم . لذلك أُسِّسَتْ فى القاهرة جمعيةٌ للرفق بالحيوان . ولهـا فروع فى المُدُن الكبيرة بالقطر المصرى . وغَرَضُها حماية الحيوان من الأذى والضرب وسوء المعاملة ، وتكليفهِ ما لا يُطيق من الأعمال . وإنا لنَرى الدَّوَابَّ من خيل وبغال وحمير فى شوارع المدن الكبرى مُثْقَلَةً بما لا طاقة لها به ، وبعضها مريض أو جريح أو عطشان . ولا يَنْفَكُّ صاحبها أو سائقها مع ذلك يضربها ويُؤْذيها بأنواع الإيذاء . والسبب فى ذلك راجع إلى الجهل والقساوة . فالجمعية تباشر فى مثل هذه الأحوال معالجةَ الحيوان ، وتُزَوِّدُ المالك أو السائق النصائحَ والإرشاد فى معاملته ، وتُفْهِمُهُ ضرورةَ مُراعاة الرفق به والشفقة عليه . وإذا رأت الجمعية أن الحيوان قد عُذِّب فإنها تكون سبباً فى عقاب الجانى . وللجمعية جملة موارد للماء منتشرة فى المدن الكبيرة ، لسَقْيِ الدَّوَابِّ وإطفاء ظَمَئِها ، كما أن لها مستشفًى فسيحاً فى القاهرة

جزى الله المؤسسين والقائمين بهذا العمل الخيرى أحسن الجزاء .

فإياكِ أيتها الفتاة أنْ تُؤْذى حيواناً بالضرب أو التعذيب : كأنْ تضربى



الرِّفْقُ بِالحَيَوانِ
إِيَّاكِ أَنْ تُؤْذِى حَيَوانًا أَوْ تُجِيعِى طائِرًا أَوْ عُصْفُورًا

قِطا أو تُجيعى طائرًا أو عُصفوراً . أو تُهْمِلى تقديم الماء له . واعلمى أن الحيوان إذا جاع أو عَطِشَ أو تألم ، فإنه لا يمكنه التعبيرُ عما يُخالج فؤاده من ذلك، كما هو شأنُ الإنسان الذى خصَّه الله بالعقل واللسان. فتعذيبُ الحيوان يُوجِبُ غَضَبَ الله، والله شديد العقاب . وقد جاء فى الحديث الشريف « عُذِّبَت امرأةٌ فى هِرَّةٍ سَجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقَتْها، إذْ حَبَسَتها ،ولا هى تركتها تأ كلُ من خَشاشِ الأرض »

مكسب شريف

الفلاَّحة — تَعالَىْ فانظرى دَجاجى فعنـدى ثلاثون دجاجة ، ربَّيْتُها منذ كانت أنْفاقاً ، فأصبحت الآن تبيض

بنت البلد — لله ما أجمـلَ مَنْظَرَها ، وكيف كَبِرَتْ ولم يمت منها شئ ؟

الفلاَّحة — لم أتعب فيهـا كثيراً ، ولـكننى كنت حريصة عليها جـدًّا . وذلك أننى كنت أُخْرِجُها فى شمس الشتاء الدَّفِئَة اللذيذة ، وأقعد بجانبها أَهُشُّ عليها بعصاً خفيفة ، أراقب الحِدَأَ ، فهذه شَرُّ أعدائها ، ثم كنت أَنثر لها ما أُعِدُّهُ مِنْ غِذاء من أرز أو قمح أو جَريش أو غير ذلك . وما أحلى منظرَها حين أرمى لهـا قطعة صغيرة

من ورق الخس أو غيره من الخُضَر !

بنت البلد — إنك ضيَّعْتِ بجانبها وقتاً طويلاً

الفلاَّحة — لا . لم أُضيع وقتاً سُدًى ، لأنى أنتفع الآن ببَيضها ، لأن عشرين دجاجة منها تبيض كل يوم ، وأبيع البيض كل أربع بقرش

بنت البلد — ولكن ربما لا تجدين مَنْ يشتريه

الفلاَّحة — إنى أبيع البيض كلَّ يوم أو يومين ، لأن ناس عرفونى وأدركوا فِيَّ الأمانة والصدق . فلم أحاولْ يوماً أن أَغُشَّهُم ببيض مَذِر

بنت البلد — وهل تبيعين لهم شيئاً غير البيض ؟

الفلاَّحة — أبيع لهم الحمام أحياناً . تَعالَىْ معى أُرِكِ مكانه

بنت البلد — هذا حمام كثير جداً . ولا بُدَّ أن يكلفك فى تغذيته وتَعَهُّده مالاً طائلاً

الفلاَّحة — هذا عكس الواقع . وهو أقل نفقة من الدَّجاج . لانه كما تَرَيْن فى بُرْج مفتوح. فهو يطير إلى الحُقول والبَيادِر ، يأكل منها ويشرب من الجداول . ومكسبه عظيم ، لأنى أبيع كلَّ زوج منه بخمسة قروش

بنت البلد — إنك على جانب كبير من الذكاء . وتعرفين الطُّرق الشريفة لكسب معاشِكِ بكدِّك وجِدِّك . فهل عندك شئ آخر ؟

الفلاَّحة — عندى بَطٌّ ، وهو الآن فى البِرْكة هذه التى تَرَيْنَها بجانب الدار . وهو دائماً فى الماء ، لأنه يحبه حبًّا جمًّا ، ولا يخرج منه

إلا للأكل . وما دام فى الماء فهو فى غاية الصحة والنظافة

بنت البلد — وهل يَلِد فراخَه الصغيرة وهو فى الماء ؟

الفلاحة — إن البط لا يلد . وانما يبيض كالدجاج . ويبيض عندى فى المنزل ، لأنى فى المساء أسوقه إليه . والتى قَرُبَ ميعاد



وَاللهِ لَقَدْ أَحْبَبْتُ مِنْك تَرْبِيَةَ الطُّيورِ الْمَنْزِليَةِ وَشَوَّقْتِنى إِلَيْها

بيضها أَحْجُزُها فى الصباح ، فلا تخرج مع الباقى . وإذا اجتمع مقدار صالح من البيض حَضَنَتْه إحداهن ، ثم تخرج منه الفراخ تمشى وراء أمها

بنت البلد — ما أجمل الصِغارَ منه ! ولكن ألا تخافين عليها من الغرق ؟

الفلاّحة — ألا تسمعين فى مصر المثل « ابن الوز عوام » ؟ فإنه إذا صار فى الماء يعوم ولا بأْسَ عليه

بنت البلد — وهل تبيعينه أيضاً ؟

الفلاّحة — أُرسِلُ منه مع أبى فى كل شهر أربعا الى سوق البلد ، فتباع الواحدة بسبعة قروش أو ثمانية

بنت البلد — ما أَهْنَأَ حياتَك أيتها العاقلة العاملة النشيطة ! والله لقد أحببتُ منك تربية الطيور المنزلية ، وشوّقتنى إليها فسَأُقَلِّدُكِ وأُجرِّب

الفتاة الفلاّحة

فى إحدى قرى الريف بالقرب من مدينة الزقازيق، ضَيْعَةٌ لأحد أعيان مصر المقيمين فى القاهرة . فذهب ذلك السَّرِىّ يوما لِتَفَقّد حالها ومزروعاتها ، وأخذ معه ابنتيه. وكانت إحداهما واسمها «حنيفة»

تلميـذة فى السنةِ الرابعة بالمدرسة السنية : والأخرى وهى الصغرى ، واسمها «جليلة» تلميذةً فى مدرسة الأمير عبد المنعم

ولما وصلوا جميعاً إلى الدار المقامة بالقرب من الضيعة ، ونَفَضُوا غُبار السفر ، وغسلوا وجوههم وأَيْدِيَهُم ، خرج الرجل لمقابلة شيخ البلد ووكيل الزراعة والعمال ، لاستطلاع آرائهم وَمُفاوَضَتِهِمْ فى شُئُون الأرض ، وما تَمَّ فى أمرِ المحصول . أما حنيفة وجليلة فاستأذنتا والدهما فى التنزه قليلا بين المزارع ، والعودةِ بعد ساعة . فأذنَ لهما فى ذلك . وكان إذْ ذاك أوان ازْدِهارِ الفول ، ورائحة أزهاره الجميلة تَنْبَعِث منه ، وتختلط بالنسيم العليل البليل . فَتُحْدِث سرورا وانشراحا عظيمين . وبينما هما فى الطريق ، إذ بفتاة فلاّحة فى رَيْعانِ شبابها ماشية، لابسة ثوباً من نسيج أسود ، واسع الكُمَّين،عاصبةً رأسها بمِنديل أحمر . أما قدماها فكانتا حافيتين . وعلى رأسها إناء من صفيح، عليه غِطاء من ليف . فاستوقفتاها وبعد التحية سألتاها عن اسمها . فقالت اسمى «مبروكة» فدار بينهما الحديث كما يأتى : —

حنيفة — ما هـذا الذى تحملينه على رأسك يا مبروكة ؟ وأين تذهبين ؟

مبروكة — هـذه صفيحة مملوءة لبناً . وإنى ذاهبـة بها إلى منزل عمى

جليـلة — وما ذا تعملين فى هذا البلد ؟

مبروكة — إننى أَحلِبُ الجاموسة ، وأساعد أمى فى عمل الزُّبْدة

والسمن والجبن . وأحمل الغَدَاء لأبى وإخوتى كل يوم فى الحَقل . ثم أحمل أختى الصغيرة وألاعبها ، حين تكون أمى مشغولة فى طبخ العشاء . وعندى دجاجتان أُطعمهما وأضع لهما الماء فى الطاجن ، وآخذ بيضهما كلّ يوم

حنيفة — هل ذهبتِ إلى القاهرة فى حياتك يا مبروكة ؟

مبروكة — ذهبتُ مع والدى وأمى مرة ، وقد فرّقنا الزّحام فى شارع الموسكى ، وضاقت نفوسنا ، وأخيرًا تقابلنا بالقرب من مسجد سيدنا الحسين

حنيفة — تعالَىْ معنا وأقيمى فى القاهرة ، فإن الحياة فيها جميلة ، ولنا منزل كبير مُضاء بالنور الكهربائى ، ومفروش بأحسن الفُرُش . وعندنا كثير من الخدم والمآكل الطيبة ، والملابس الحَسَنَة ، ولنا عربة خاصة نستريض فيها فى بعض الأوقات

مبروكة — لا ياسيدتى ، أشكر فضلك . إننى لا أُحب أن أعيش إلا هنا فى دارنا . وهى وإن كانت صغيرة بسيطة ، أفضّلها على غيرها . وليس شىء يَسُرُّنى مثلَ الهواء الطلق ، ورؤية المزارع الخضراء والماء يجرى فى وسطها . فنحن الفلاحينَ مثلُ الطيور لا نألف إلا الحُرية ، ولا نُحب عيشة المدن . لأننا نشعر ونحن فيها كأننا محبوسون فى قفص

جليلة — نعم والطير لا يحب القفص ، ولو كان من ذهب . فأنتم مَعْشَرَ الفلاحين تفضِّلون القرى على المدن ، لأن المدن ضيقة

فى نظركم ، وفيها زِحام وَضَوْضاء لا يَرُوقانِكم

مبروكة — نعم ياسيدتى ، ولا سِيَّما العربات الكثيرة التى منها ماتجره الدواب ، ومنها مايمشى وحده بالنَّفَس . ولما كنا فى مصر فى تلك المرة رأينا عربة من هذا النوع ، وأردنا أن نركبها إلى العباسية حيث دارُ العمدة فى مصر . فجعل أبى يشير إلى السائق بالوقوف فلم يقف

جليلة — إنك تقصدين عربةَ الترام التى تسير بالكهرباء . إنها لاتقف إلا فى محطات معينة

حنيفة — وأظنك يامبروكة حَمِدْتِ الله عند عودتكم من مصر إلى هنا بالسلامة . بارك الله فيك . فإنك فتاة طيبة ، نَشَأْتِ وَدِيعَةً ورضيتِ بحالتك . بل فضَّلْتِها على كل حالة سواها . أمسيتِ بخير

ثم عادتا لأبيهما ، وقصَّتا عليه ماوقع لهما مع تلك الفلاحة. فقال لهما : إن ما عليه الفلاّحون من الجِدّ والنشاط ، والدَّأْب فى العمل ، والقناعة ، لهو أساس ثروة القطر المصرى وعُمْرانه . ولو توانَوْا أو تكاسلوا فى أعمالهم ، والتفتوا للتَّرَف والكماليات ، وأهملوا مراقبة مزارعهم ، وتركوا العناية بها ، وطرحوها وراءهم ظِهْرِيًّا ، لمات الزرع وجَفَّ الضَّرْع ، ولأصبحت مصر أرضاً بَلْقَعاً قَفْرًا ، وأمسى سكانها فقراء تاعِسين ، كأهل البادية : فلا رَيْبَ فى أننا مَعْشَرَ الحَضَرِيين مَدِينون بحياتنا وَرَفاهَتِنا لهؤلاء القَرَوِيِّين . فإنهم مَصْدَرُ سعادتنا ورخائِنا ، وعلينا أن نكافئهم بِحُبِّنا لهم ، وعمل مافى وُسْعنا لإسعادهم ، وتوفير أسباب الراحة والهناءة لهم

لا تحكمي بالظواهر

مرّت معلمة وتلميذتها أثناء استراضتهما بقصر فخم ، تكنُفه حديقة فيحاء ، تنبعث منها روائح تُنعش الفؤاد ، وتشرح الصدر . وأرضُها مفروشة بالرمل الأحمر الجميل . وعلى سياجها تطل الأزهار بألوانها البديعة ، من ورد وفل وياسمين . وعلى باب القصر خادمان ينتظران سيدهما ، وأمامه عربة ذلك السيد ، وهي في غاية النظافة والطّلاوة ، يجرها جوادان مُطهّمان . أما السائق فحدّث عن جميل ثيابه ولا حرج . فجرى الحديث الآتي بين البنت ومعلمتها :

الفتاة — ما أجملَ هذا القصرَ وأسعدَ ساكنيه ! ياليت لنا مثلَه !

المعلمة — لا تحكمي يا ابنتي بالظواهر . فقد يكون سكانه على اتساعه وجماله غيرَ متمتعين به لسبب لا نعلمه : كأنْ يكون بعضهم مُصاباً بمرض عُضال ، أو مُنَغّصاً بالفراق أو الحزن أو الدَّيْن ، أو ما شاكل ذلك . وقد يكون لساكن الكوخ مِنْ لذة العيش ما ليس لصاحب القصر . فطالما سمعنا أن غنيّاً أُصيبَ بمرض ، فتمنى لو يَبْرَأُ منه ولو حُرِم كلَّ ماله ، وأصبح لا يملك قوت يومه . والعِبْرَة ليست بالظواهر ، وسبحانَ مَنْ يعلم ما خَفِيَ وما ظهر . نعم في الدنيا كثير ممن مَنَّ الله عليهم بالثروة والجاه ، فعاشوا عيشة راضية مُرتاحي البال ،

مطمئني النفوس ، لا يَعْتَورُ صفاءهم كدرٌ ولا نَغَص . وفيها أيضاً فريق يملكون المال الكثير ، والضِّياع الواسعة ، ولكن لديهم من أسباب النكد الخفيّ ، ما يجعلهم في عذاب أليم . فأولئك يُغْبَطون في الظاهر ، ولكن حالتهم في الواقع تستوجب الرأفة والشفقة ، وأمثالهم في الدنيا كثير . فما أَحْسَنَ الفقْرَ مع السلامة

وبينما هما في الحديث إذا برجل أعمى قد خرج من ذلك القصر وبيده عصا يتوكّأ عليها ، يقوده خادم . فأجلسه في العربة . فقالت المعلمة لتلميذتها : يظهر أن هذا يا ابنتي صاحبُ القصر بما فيه . فهل ترغبين أن يكون حظك من الدنيا مثلَ حظه ؟ فقالت الفتاة ولِمَ لا ؟ فإنه متمتع بهذا النعيم ، وله من الجوارى والخدم عدد كبير ، وهذه دلائل الثروة الطائلة . فلا شك انه يأكل أحسن الأطعمة وألذها ، وَيَلْبسُ من الملابس أَفْخَرَها . وهل للإنسان وراء ذلك مطمع ؟

المعلمة — ولكنه أعمى لا يرى من جمال هذا القصر ما تَرَيْنَهُ ، ولا في عزة الثروة وكثرة الخدم ما تخيلينه ، ولا هو متمتع برؤية هذا البستان ، وما احتواه من بديع أنيق ، وجميل رشيق . فهو محروم نعمةَ البصر ، ويالها مِنْ نعمة مَنَّ الله بها علينا : فبها نرى مايحيط بنا من الأشياء ، ونفرّق بين الغثّ والسمين ، ونعرف العدو والحبيب ، ونجو من العثرات ، ونأمن الزّلات ، ونقرأ الكتب القيّمة ، والمؤلفات المفيدة ، لتستنير عقولنا بما حوته من علم ناضج ، ورأى سديد ، وحكمةٍ بالغة . قال تعالى في فضل نعمة البصر : « وَٱللَّهُ

أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لا تَعلمُون شيئاً وَجَعَلَ لكُمُ السَّمْعَ والأبصار والأَفْئِدَةَ لعلكُم تَشكرون »

الفتاة — لكِ الشكر يا معلمتى على ما هَدَيْتِنِى إليه من الرُّشد ، وإننى أحمد الله على هذه النعمة العظيمة

المعلمة — إذَنْ لا تَغْبِطِى أحداً على حالته الظاهرة ، وارضَىْ بما قَسَمَ الله لكِ ، واقنَعى بما أَوْلاكِ ، واشكريه على آلائه . قال تعالى « ولَئِنْ شَكَرْتُم لأَزيدَنَّكُمْ »

حَذَارِ من الطَّيْش والنَزَق

كان الجهل منذُ ألفَى سنة مُخَيِّماً بعقول الناس ، إلا النزر اليسير ، ممن خَصَّهم الله بنور التفكير والحكمة . فخال بخاطر الشَّعب الرُّومانى أن يَثُور على حكومته . فسار نفر كبير منهم فى الطرُقات منادين بالخروج على الحكومة ، قائلين : إنها تُثْقِلُ كاهل الأهلين بالضرائب ، وتختص بما تَبْتَزُّه من المال أفراداً يتمتعون به ، وغيرُهم فى شقاء ونَصَب . فلما وصلوا بمَوْكِبهم إلى ساحة المدينة الكبرى ، توسَّطَ الجَمْعَ شيخٌ بلغ من الكِبَرِ عِتِيًّا . وكان مُتَّصِفاً بين قومه بالعقل والحكمة والعلم ، محبوباً محترماً حَنَّكته التجارب وَعَرَكَتْه الأيام . وزاده وقاراً لحيتُه البَيْضاء المُرْسلَة . فقال مخاطباً زعيمهم : أراكَ تجمع

شَمْل الناس ليثوروا على الحكومة . قال نعم . قال : أفتأذنُ لى أن أقص عليكم حكاية مأْثورة ، نقلها الخَلَف عن السَّلَف . قال قل وَأَوْجِزْ . قال الشيخ : زعموا أن أعضاء الجسم ثارَتْ مرة على المعدة ، لأنها تَلْتَهِمُ كل ما يدخلها من الأطعمة ، مع أنها لا تعمل شيئاً ، بينما باقى الأعضاء تُؤَدِّى جميع الوظائف ، والحركات والأعمال البدنية ، وليس لها نصيب من تلك المآكل والمشارب . فلما وصل الشيخُ إلى هذا



توسط الجمعَ شيخٌ بلغ من الكِبر عِتيًّا

الحدّ من الحكاية صاح أكثر الحاضرين مُحبّذين هذه الثورة، لأنها قائمة على حُجّة قوية وسبب معقول: إذ اليد تَدْأَبُ فى العمل والحركة، والقدم تسعى، والعين ترى، واللسان يُعَبّر، والأسنان تطحن، والأذن تسمع، فما للمعدة سبيلٌ للدفاع، وعليها تقع تَبِعَةُ هذا الحِرْمان. فقال الشيخ: هل علمتم بِمَ دافعت المعدة عن نفسها؟ قالوا لا. قال: انها لما سمعت ما نُسِب إليها من الظُلْم والحَيْف، نظرت إلى الأعضاء مبتسمة هادئة، وقالت: يا قوم لو فكرتم فى الأمر مليًّا لتَبَيَّنْتُمْ أنكم فى دَعْوا كم مُخْطِئون، وفيما تَنْسُبون إلىّ مَخْدُوعون. فما أنا إلا خادمة لكم، مُسَخَّرة لهضم الأطعمة وفصل طيّبها من خبيثها، وتوزيع الطيب عليكم، كُلٌّ وما يَصْلحُ له، ولولا ما أُجْرِيه من الهضم والتنظيم، لاخْتَلَّ أمركم وفسدت حالكم، فلا تغْتَرُّوا بالظواهر، بل كونوا منها على حذر، ولا تَتَسَرَّعوا إلى الحكم، ففى التَّسَرُّع كلُّ الشَّطَط. فأقْنَعَ هذا أعضاء الجسم وأخذوا يعتذرون عما فَرَطَ، وأقْسَمُوا ألا يُسيئوا الظَّنَّ بالمعدة بعد ذلك. قال الشيخ: تلكم يا أوْلادِى حالكم مع حكومتكم. فإنها تجمع الضَّرائب لتُنْفِقها فى سبيل المنافع العامة، لحفظ النِّظام، وإقامة العَدْل، وتشييد معاهد العلم، وحَفْرِ التُّرع، وإقامة الجُسُور، وتمهيد الطُّرُق، وَصَدِّ الأعداء عنكم، إلى غير ذَلكم مما لولاه لأصبحت حالكم فَوْضَى، لا تأمنون معها على أرواحكم، ولا أعراضكم، ولا أموالكم، بل لكنتم إلى الوحوش الضّارية أقرب. فلما سمع القوم هذه الحكاية، استيقظوا من غفلتهم

وعَلِمُوا أنّ النار التى كانوا يلعبون بها كادت تُحْرِقهم ، وتُوقِعُهم فى أشَدِّ المهالك . فاسْتَمَعوا لأقوال هذا الحكيم البليغ ، وأنْصَتُوا وعَمِلوا بوصيته الغالية

فويْلٌ للطائشين الذين يأخذون الأمور على ظواهرها ، ويسيرون فى أقوالهم وأعمالهم من غير تَبَصُّر ، ولا تفكير فى عاقبة ما يفعلون «أولئك هم الأخسرون أعمالا الذين ضلّ سعيُهم فى الحياة الدنيا وهم يَحْسَبُون أنهم يُحسنون صُنْعاً »



د ـ فى الاناشيد

أنشودة طفل عند نومه

نام طفلى نام طفلى ... مَعَهُ قَلْبِي وَعقلِي
ناظِرًا حِينَ المنامْ ... نَحْوَ وَجْهِي بِابْتِسامْ
رَدَّدَ الطَّرْفَ إلىَّ ... إنه مال علىَّ
وغفا يُمْسِكُ ثوبى ... إنه يُمْسِكُ قلبي
يا « سَعاداتُ » احْمِليه ... وعلى الفرش ضَعيه
وخُذيه بتأَنِّ ... وله سمِّي وغَنِّي
يا مَليحَ الوجه يا بُنَي ... صغت منْ ظَرْفٍ وحُسن
نَمْ إلى سَجْعِ الحَمامْ ... فى أمانٍ وَسَلَامْ
حاطَكَ الله الكريمْ ... ولك الخَيْرُ يُديمْ
ما شدا الطير وناحا ... واكْتَسَى الزَّهْرُ صباحا
لؤْلُؤَ الطلِّ وِشاحا ... وبطيب النَّشْر فاحا

نشيد الصباح

يا مرحباً جاء الصباحْ   والليل كالمهزوم راحْ
والديك فى النُّيَّام صاح   يشدو بحىّ على الفلاح
ويُسبِّح اللهَ الكريمْ
يا بنتُ هُبِّى تُحْمَدِى   وبِخِيرة الناس اقْتَدى
وعن المكاره فابْعُدى   وإلى المكارم فاهتدى
نحوَ الصراط المستقيمْ
هلاَّ نظرت إلى الأقاحْ   والوردِ حين زكا وفاح
والطَّيْرِ إذْ غَنَّى وناح   والطلّ فى الأوراق لاح
فكأنه الدُّرُّ النظيمْ
قومى إذا الشمسُ بدت   والوُرْقُ فى الروض شَدَتْ
مَنْ عملت واجتهدت   تقدَّمت وأفلحت
فالفوز بالجد العظيمْ
يا ربِّ يا مولى النعم   يا من يُعَلِّم بالقلم
منك الهدى منك الكرم   منك الشفاء من السقم
وبك الملاذُ المستديمْ

الحنان والأمل



الحنانُ والأملُ

أُحِبك أَحْنُو عليك ... فأنت ضياء العُيون
تعال فقلبي لدَيكَ ... مُقيمٌ إلى أن تَجيئى
حَرام عليَّ المَنام ... إذا مامَرِضْتَ وتَشْكو
حرام عليَّ الطَّعام ... وما أنت تَنْمُو وتزكُو
فأنت عَزاء النُّفوس ... إذا الدهر يوما يَخُونُ
وأنت بيَوْمٍ عبُوس ... تُفرِّجُ همًّا يَكونُ
شبيهك فى الروض زَهْر ... إذا ما سقَتْه الغُيومُ
ويَحْكِيكَ فى الجو بَدْر ... حَوَالَيْهِ تزْهُو النُّجوم
ستبلغ شَأْوَ الرجال ... يُعينك ربُّ السماء
ويا ربّ حَقِق سُؤَالى ... فأنت سميعُ الدُّعاء

فى العجلة الندامة و فى التأنى السلامة

القُبَّرة وابنها

رأيت فى بعض الرِّياض قُبَّرهْ ... تُطَيِّرُ ابنها بأعلى الشجرهْ
وهى تقول يا جَمالَ العُشِّ ... لا تعتمدْ على الجناح الهشِّ
وقفْ على عودٍ بجنب عودى ... وافعل كما أَفْعَلُ فى الصُّعودِ
فانتقلتْ من فَنَنٍ إلى فَنَنْ ... وجعلتْ لكل نُقْلَةٍ زمنْ

كى يستريحَ الفرخُ فى الأثناء فلا يَمَلُّ ثِقَلَ الهواء
لـكنّه قد خالف الإشـارهْ لَمَّا أراد يُظهر (الشَّطارهْ)
وطار فى الفضاء حتى ارتفعا فخانه جَنَاحُـه فوقعـا
فانـكسرتْ فى الحال رُكْبتاهُ ولم يَنَلْ من العُلا مناهُ
ولو تأَنى نالَ ما تمنى وعاش طولَ عُمْرِهِ مُهَنَّا
لـكل شئ فى الحياة وقتُهُ وغاية المُسْتَعْجِلين فَوْتُهُ

(الشوقيات)

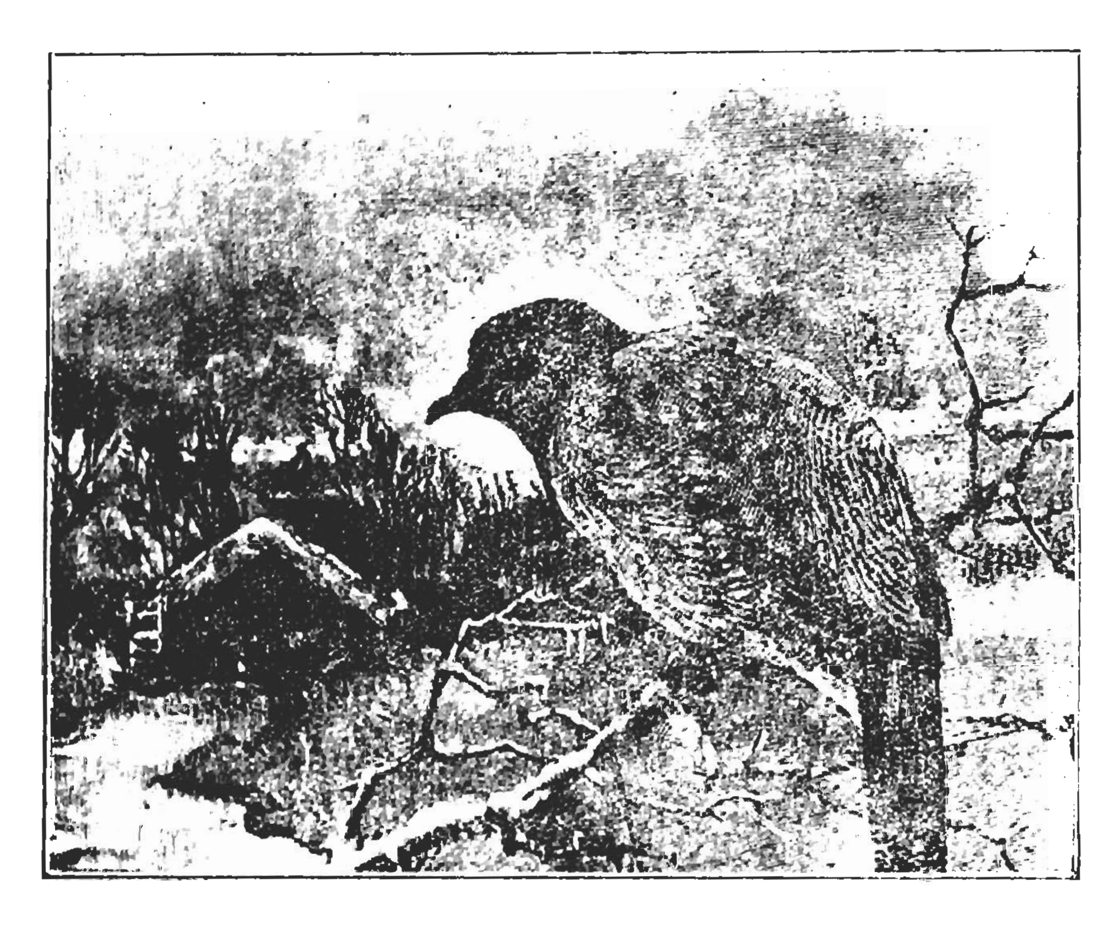
﴿ إن كان الـكلام من فِضة ، فالسكوت من ذهب ﴾

« اليمامة والصياد »

يمامةٌ كانت بأعلى الشجره آمنة فى عُشِّها مستتِرَه
فأقبـل الصياد ذَاتَ يومِ وحام حَوْلَ الرَّوْضِ أَىَّ حَوْمِ
فلم يَجد للطير فيـه ظِلاَّ وهَمَّ بالرحيل حينَ ملاَّ
فبرزَتْ من عُشِّها الحَمْقاءُ والحُمْقُ داءٌ ماله دواءُ
تقول جهْلاً بالذى سيَحْدُثُ يأيها الإنسان عَمَّ تبحثُ
فالتفت الصياد صَوْبَ الصوتِ وَنَحْوَهُ سـدَّدَ سَهْمَ الموتِ
فسقطت من عَرْشِها المَكينِ وَوَقَعَتْ فى قَبْضَةِ السـكينِ

تقول قَوْلَ عارفٍ مُحقّقِ   مَلكتُ نَفْسِي لَوْ ملكت مَنْطقِي

(الشوقيات)



مَلَكْتُ نَفْسِي لَوْ مَلَكْت مَنْطِقِي

٥ — تراجم بعض مشهورات النساء

﴿ بلقيس ملكة سَبَأ ﴾

اشتهرت بِلْقِسُ بقصتها المعروفة مع سليمان بن داود عليهما السلام ، وورد ذكرها فى القرآن وغيره من الكتب المنزلة . ذلك أنه كان لها مُلك عظيم واسع الأطراف ، حاضِرَتُه سَبأ فى بلاد اليمن . وكان لها من المجد والسُّلطان ، والعز والشرف ، ما يُضرب به الأمثال ، حتى قال بعضهم : إنه كان تحت نفوذها أربعمائة ملك ، يَسْتَظِلُّونَ برايتها ، لكل منهم جيش يبلغ أربعين ألف مقاتل . وأما عرشها الوارد ذكره فى القرآن الحكيم ، فقيل إنه كان سريراً ضخماً من ذهب وفضة ، مرَصعًا بالجواهر الكريمة ، وكان فى جوف سبعة بيوت عليها سبعة أغلاق ، كل بيت داخل الآخر ، وهو فى آخرها . وقيل كان مُقَدَّمُه من الذهب ، مُحَلًى بالياقوت الأحمر والزُّمُرُّد الأخضر ، وَمُؤَخَّرُه من فضة ، مكللا بأنواع الجواهر واللآلئ . ولعل فيما تقدم من الوصف مبالغة عظيمة ، إلا أنه يَدُل على أن ذلك العرش لم يَسْبِقْ له مثيل فى الجمال والأُبَّهة . وأما حكايتها مع سليمان فانه عليه السلام لما سمع بصيتها وأوصاف عرشها ، قال : « يأيها الملأ أيكم يأتنى



المَلِكُ سُلَيْمانُ يَسْتَقْبِلُ بلْقِيسَ مَلِكَةَ سَبَأ

بعَرْشِها » فجاءه الهُدهُد ، وكان قد عرَف مكان بلقيس . فأخبره بخبرها ، ودله على مكانها . فكتب لها سليمان كتاباً وقال للهدهد : « اذهب بِكتابى هذا فألقِهْ إليهم » فوافاها وهى فى قصرها ، فرمى الكتاب فى حِجرها، فقرأته فاذا به « بسم الله الرحمن الرحيم ألاّ تعْلوا علىّ وأتونى مُسلمين » فأخبرت قومها بأمر هذا الكتاب فقالوا : « نحن أُولُو قُوَّةٍ وا ولو بَأْس شديد والأمر إليكِ فانْظرى ماذا تأمرين » . قالت: إنى مُرْسِلَةٌ إليهم بهَدية فإن قبلها مَلِكُهم فهو من ملوكِ الدنيا فنحن أعزُّ منه وأقوى ، وان لم يقبلها فهو نبى من عند الله . فلما قَدِمَ الوَفْد على سليمان ومعهم الهدية ، ووقفوا بين يديه ، نظر اليهم بوجه طَلَق ، ثم قال : « أَتُمِدُّونَنِ بمال فما آتانِىَ اللهُ خيرٌ مما آتاكم » ثم ردَّ الهدية . فرجع القوم وأخبروها فعلمت أنه نبى كريم . وشَخَصَتْ إليه فى مَوْكِب مَهيب ، محفوف بالجلال والعظمة . وجىء إليه بعرشها ، ثم دعاها إلى الاسلام فأسلمت ، وقيل إنه تزوجها . وتوُفِّيَتْ قبله فدفنها بالشام

آسية امرأة فرعون

إن فرعون طَغَى و بَغَى ، وتكبَّر وتَجَبَّر ، حتى بَلَغَ من قَسْوَته وغِلظَته وسَفَاهَة رأيه ،أنْ أمر بذبح كل من يُولد فى زمانه من الصِبيان،

لأن كَهَنَتَه أبلغوه أنْ سَيُولد فى أيامـه ولد ، يكون سبباً فى تَقْويض عَرْشه ، ونَزْعِ مُلكه ، وإحلال المصائب والبَلوى به . فجعل يُثْكِل الأمهات ، ويُحزن الأسرات ، من غير مبالاة . وكان لفرعون امرأة هى غاية فى الرحمة والشفقة ، نهاية فى العَطْف والإحسان ، اسمها آسية . وكان يحبها حبًّا جمًّا ، لكمالهـا ودَماثَة أخلاقها . فكمْ دفعت بَلاء ودَرَأتْ مصائب ، و بدَّلت العسر يُسرًا ، حتى كانت رحمة للعباد ، فى زمن فِرْعَوْنِ الفراعنة ، وداهيةِ الدواهى . من ذلك حادِثُ سيدنا موسى عليه السلام . فقد جاء فى الأنباء أنه بينما كانت آسية جالسةً فى حديقتها الغنّاء ، ورَوْضَتِها الفيْحاء ، تجرى من تحتها الأنهار ، إذا بتابُوت قد أقبل ، عائماً على المـاء يجرى الهُوَيْنَى ، حتى صار منها قابَ قوسين أو أدنى . فأمرت جواريها بإخراجه ، لاستطلاع أمره ، والوقوف على خـبره . فلما فتِح إذا داخله مولود كريم ، بَهِىُّ الطلعة مليح المُحَيَّا . فحرك منها عوامل الحَنان ، وتملَّـكها من أجله الرِّفق والإشفاق . فأمرت به أن يحمل إلى داخل القصر ، وأن يُتَعَهَّد بالعناية ويُشمل بالرّعاية . وما عَتَّم خـبره أنْ ذاعَ فأُمر به أن يُقْتل . فحالت دونَ ذلك آسية ، وشفعَتْ له عند فرعون . وما زالت به حتى استَحْياه « ليكون له عَدُوًّا وحزَنًا » ، ورُبِّى فى داره حتى بلغ أشُدَّهُ ، ونال منه مانال . ويقال إن آسية هذه كانت ممن آمن بموسى فيما بعدُ . فأدرك فرعون منها ذلك ، فانقلب عليها وتبَدَّل حبه لها عِداء . ولـكنها لم تـكن تَعْبَـأُ به ، لِمـا كانت تعلم من أنها على الحق . فلم يَغُرَّها منـه

رَخاء ، ولم يَجْتَذِبْها إليه وعد ، بل ولم يَهَدِّدْها منـه وعيد . وقد رُوِى في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم « خير نساء الجنـة خديجة وفاطمة ومريم ابنـة عمران وآسية امرأة فرعون »

تُماضِر الشهيرة بالخَنْساء*

وَفَدَت على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومها فأسلمت معهم . وكانت أشعر أهل زمانها ، وهي من المعترف لهن بالفَوْق في هـذا المَيْدان . وأكثر شعرها في رِثاء أَخَوَيْها مُعاوية وصَخْر . وكان معاوية أخاها لأمها وأبيها ، وكان صخر أخاها لأبيها ، وأحبهما إليها . واستحق صخر منها ذلك ، لانه كان موصوفاً بالحلم ، مشهوراً بالجود ، معروفاً بالإقدام والشجاعة ، مَحْظوظًا في العَشِيرة ، وقد كان من أجمـل رجال العرب . فلمـا قُتل جلست الخنساء على قبره زماناً طويلا ، تبكيه وتَرْثِيـه بأبلغ ما قال الشعراء في الرِّثاء . وقد أجمع الشعراء على أنه لم تـكن امرأة قبلها ولا بعدها أشْعَرَ منها . وقال أحد كبار الشعراء مرة : لم تقل امرأة قَطُّ شعرا لا يَبِين الضَّعْفُ في شعرها . فقيل له أوَ كذلك الخَنْساء ؟ فقال : تلك فَوْقَ الرجال . وقد قابلتها عائشة زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم ، بعـد ما مات أخوها صخر ، وهي محزونة

* الخنساء البقرة الوحشية

محلوقة الشعر، تَدِبُّ من الكبر والضَّعْف على عصا، فسألتها عائشة : ما دعاك إلى هذا إلا صَنَائِعُ من جميله فَصِفيها لى . قالت نعم . ذلك أنَّ زوجى كان رجلاً مِتْلافاً للأموال يقامِرُ بالقِداح، فأتلف فيها ماله، حتى بقينا على غير شيء . فأراد أن يسافر، فقلت له أَقِمْ وأنا آتى أخى صخرا، فأسأله . فأتيته، فشكوْتُ إليه حالَنا وَقِلّة ذاتِ أيدينا، فشاطرنى مالَه . فانطلق زوجى فقامر به فَقُمِر، حتى لم يَبْقَ لنا شيء . فعدت إليه فى العام المقبل، أشكو إليه حالنا، فصار لى بمثل ذلك، فأتلفه زوجى . فلما كان فى الثالثة أو الرابعة، خَلَتْ بصخر امرأته فَعَذَلَتْهُ، ثم قالت : إن زوجها مُقامِر وهذا ما لا يقوم به شيء، فإن كان ولا بُدَّ من صِلَتها فأعطها خُمْس مالك، فإنما هو مُتلِف والخير فيه والشر سيَّان . فلم يَرْضَ صخر بذلك، بل شَطَرَ ماله شَطْرين، وأعطانى أفضلهما . فلما مات أصبحتُ على ما تَرَيْنَه

ولما قَدِمَت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم اسْتَسْلَمَها فأسلمت، واستنشدها فأنشدتْ فأُعْجِبَ بشِعرها وهو يقول : هيهِ يا خنساء ! ثم انصرفت . وكانت صادقة الوطنية، باسلة . ذلك أنه لما سارت جيوش العرب لفتح بلاد فارس، انضمت إليهم ومعها أبناؤها الأربعة، وحضرت وَقعة القادِسية المشهورة . ففى ليلة الوَقعة صارت تُزَوّدهم بالنصيحة، وتُذْكى حَمِيَّتهم . ومما قالته لهم : يا بَنِيَّ إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، فاعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية . «اصبروا وصابِروا ورَابِطوا واتَّقُوا الله لعلكم تُفلحون .»

فإذا رأيتم الحرب قد شَمَّرت عن ساقها ، فَيَمِّمُوا وَطِيسَها تظفَرُوا بالغُنْمِ والكرامة ، فى دار الخُلْد والمُقامة . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ، فتقدموا واحداً بعد واحد ، يُنْشِدون أراجيزَ يذكرون فيها وصيَّة أمهم العجوز لهم ، حتى قُتِلوا عن آخرهم . فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذى شرَّفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مُسْتَقَرّ الرحمة . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمير المؤمنين وقتئذٍ يُعطيها أرزاق بَنِيها الأربعة . وكان لكل منهم مائة درهم . فهكذا يكون الصَّبْر والثَّبات ولمثل هذا فَلْتعمَل العاملات .

ومن شعرها رضى الله عنها :

ألا يا صخرُ إن أبكيتَ عينى ... فقد أضحكتَنى زمناً طويلا

بكيتُك فى نساءٍ مُعْوِلاتٍ ... وكنتُ أحقَّ مَنْ أبْدَى العَوِيلا

إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيل ... رَأيْتُ بكاءك الحسَن الجميلا

ومنه

وإنَّ صخراً لَمَولانا وسيدنا ... وإنَّ صخراً إذا نَشْتو لَنَحَّار

وإن صخراً لتأتمُّ الهُداة به ... كأنَّه عَلَمٌ فى رأسه نار

ومنه

يُذكِّرنى طلوعُ الشمس صخراً ... وأذكُرُه بكل مَغيب شمسِ

ولولا كثرةُ الباكين حَوْلى ... على أخوانِهم لقَتَلْتُ نفسى

وما يَبكون مثلَ أخى ولكن ... أُعزِّى النفس عنه بالتَّأسِّى

السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم

قيـل إنها كانت تُسمى فى الجاهلية بالطاهرة . وهى أول امرأة تزوجها النبي صلى الله عليه وسـلم ، وكانت أول من أسلم . ولقد كانت رضى الله عنها ذات ثروة وافرة ومال طائل ، فَتَستأجِر الرجال للتجارة فى مالها ، وتجعل لهم شيئاً منـه . وكانت قرَيْش تتردد على الشام للتجارة ، فلما بَلَغَ خديجةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم صدقُ الحديث، وعِظَم الأمانة وكَرَمُ الأخلاق من قبل أن يُبْعث رسولا ، أرسلت إليـه لِيخرُج فى مالها إلى الشام تاجراً مع غُلامها « مَيْسَرة »، وتعطيه أفضلَ ما كانت تُعطى غيره. فَقَبِل،نخرج عليه الصلاة والسلام حتى بلغ الشام ، وباع واشترى ، وعاد وقد رَبِح ضِعفَ ما كان يربح غيرُه. فلما رأت منـه الأمانة بالَغَتْ فى إكرامه ، حتى أثْرَت إثْرَاءً كبيراً . وقد عُرِفَتْ بِرُجْحان العقل وأصالة الرأى . فمال إليها أعاظمُ قريش وصار كلٌّ يخطبها ، ويتمنّى أن تكون له زوجة . ولـكنها آثرَت النبي صلى الله عليه وسـلم وتزوجت به ، وبقيت معه أربعا وعشرين سنة وأشهراً ، لم يتزوج عليها . وتُوفِيَتْ قبل الهِجْرة بثلاث سنين، فحزِنَ عليها حُزْناً شديداً وعَظُمَت عليه مُصيبتها

وإن التى تتأمل فى ترجمة حياة هذه السيدة الكريمة ، لا يَسَعُها إلا أن تُعْجَبَ كلَّ الإعجاب بما وُهبَتْ من فِكْر ثاقب ، أدركت به منزلة التجارة وعظيم شأنها فى العمران ، فخَصَّصَتْ ثَرْوتها الطائلة للبَيْع والشراء حُبًّا فى تمير المال . ولم تشأ أن تَخزنه أكداساً ، لأن المال إنما يَزْكو بِحَركة التدَاوُل ، فيزداد ويَنْتَفعُ به صاحبه ، كما ينتفع بجانبه من قاموا بتكثيره . هذا إلى رواج السّلع وتَمتُّع مشتريها بها ، لأن المال هو الذى يَنْقلها من أوطانها وَيُدَاوِلها بَيْن الناس . ولقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على التجارة بقوله « تسعة أَعْشِراء الرزق فى التجارة » ، ولم يَقُمْ بها بنفسه إلا للإجماع على أنها مِهْنَة شريفة. فأين السيدة خديجة رضى الله عنها من كثير من النساء اللّائى لا يَعرِفنَ للمال قيمة غير أن يَشْتَرين به الملابس الثمينة ، والحُلىَّ من الذهب والحجارة الكريمة ، التى لا فائدة منها سوى الفخر الباطل ، والعُجْب الممقوت . نعم لا ينكر أحد ضرورة الزينة للسيدات وحُبّهن لها ، ولكن المنكَر أن يُنفَق كلُّ المال أو معظمه عليها ، مع إمكان تَثْميره والانتفاع به . وللسيدات فى خديجة رضى الله عنها وغيرها من فُضْلَيات النساء أُسْوَةٌ حَسَنَة

عائشة بنت أبي بكر

هي ابنة سيدنا أبي بكر الصديق ، أول الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم . تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي في حَداثةِ سِنِّها . وتُوُفِّي قبل أن تبلغ ثمانية عشر حَوْلا

وكانت مشهورة بأَصالَة الرأي ، وثاقِب العقل ، وفَرْط الذكاء ، مع غزارة العلم وفصاحة اللسان . فكانت إذا تكلمت اسْتَرْعَت الأسماع ، واذا خطبت بين الجُمُوع ملكت أَفْئِدَتهم ، وَسَحَرَت ألبابهم . فهي التي هاجَت الخواطر على قتَلَة عثمان بن عفّان ، رضي الله عنه . فكان من نتائج ذلك وَقْعَة الجمل المعروفة . فإنها لما علمت بأن عثمان اغتالته اليد الأثيمة في المدينة ، بتدبير فريق من القتَلَة الفَجَرَة ، رجعت إلى مكة وقامت خَطِيبة . ومما قالته في هذا الشأن : أيها الناس ، إن الغَوْغاء من أهل الأمصار وعَبيد أهل المدينة ، اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً ونَقَمُوا منه . ولَمَّا لَمْ يجدوا حُجةً ولا عذرًا بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام في الشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام . ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً ، لخَلَصَ منه كما يَخْلُص الذهب من خَبَثِه ، أو الثوب من دَرَنِه ، إلى آخر ما قالت . فقال عبد الله بنُ عامر الحَضْرمي وكان عاملَ عثمان على

مكة : هأنذا أول مُطالب بدم عثمان . وتبعه بنوأُمَيَّة على ذلك ، وشُهِرت الحرب ، وقد حضرت عائشة الوقعة بنفسها ، وصارت تُشَجِّع الرجال على الثبات ، وتحضُّهم على الصبر والمثابرة ، بما أُوتِيتْ من بلاغة وقوة حُجة

وكانت رضى الله عنها أَحْفَظ أهل زمانها للحديث الشريف . رَوَتْ عنها الرُّواة من الرجال والنساء . وكان أحد الصحابة إذا روى عنها يقول : حدثتنى الصِّدِّيقة بنت الصدِّيق البريئة المُبَرَّأَة . وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض ، ويقولون إنها من أَفْقَهِ الناس وأحسنهم رأياً . وقال أحد الصحابة : ما رأيت أحدا أَعْلَمَ بفقه ولا بطِبٍّ ولا بشعر من عائشة

السيدة فاطمة النبوية

هى ابنة الإمام الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وقد امتازت على سائر نساء عصرها بجمال طَلْعتها . وكانت أكثر شَبَهاً بجَدّتها فاطمة بنت رسول الله . أما كرم أخلاقها وتَدَيُّنها وَوَرَعُها فحَدِّث عنها ولا حَرَج . وقد حضرت مع أختها سُكَينة واقعة كَرْبلاء ، ولما قُتل أبوها أُخِذَتْ مع من أُخذ مِن أهل البيت لحضرة يزيدَ بنِ معاوية فى دِمَشْق الشام ، وقد أرسلهُن يزيدُ إلى المدينة المنورة ومعهن

رجل أمين مِن أهل الشام حتى دخلن المدينـة . فقالت فاطمة لأختها سُكَيْنة وكانت أصغر منها سِنا : قد أحسنَ هذا الرجل الينا فهل لك أن تَصِليه بشئ ، فقالت : والله مامعنا مانَصِله به إلاّ ما كان من هذا الحُليّ . قالت : فافعلى . فأخرجت له سِوارين ودُمْلَجيْن و بعثت اليه بهما ، فردَّهما وقال : لو كان الذى صنعتُه رغبةً فى الدنيا لـكان فى هذا كفاية ، ولـكنى والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكما من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانت رضى الله عنها فصيحة المنطق ، كريمة المَعْشَر ، أديبـة تَنْثُر الدرر ، وتنطق بالحكم ، فمن قولها تَنْعى أباها

نَعَقَ الغراب فقلت مَنْ … تَنْعاه وَيْحَك يا غرابْ

قال الإمام فقلت مَنْ … قال الموفَّق للصواب

قلت الحسـين فقال لى … بمقـال محْزُون أجاب

إن الحسين بِكَرْبَلا … بين الأسِنَّةِ والحِراب

أبكى الحسـين بِعَبْرَةٍ … تُرضى الاله مع الثواب

ثم اسـتقلَّ به الجَنا … حُ فلم يُطِقْ رَدَّ الجواب

فبكيتُ مما حـلَّ بى … بعـد الرَّضِيّ المستجاب

وتُوفيت سنة عَشْر ومائة للهجرة ، ودفنت فى المسجد المعروف بها الآن بِخُطِّ الدرب الأحمر بمصر

السيدة زينب بنت الإمام على كرّم الله وجهه

هى شقيقة سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضى الله عنهما . وأمها فاطمة الزّهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت فصيحة المنْطِق ، جريئة طلْقة اللسان ، مع اتّقاد الذهن وسُرعة الخاطر . وللنساء أُسوة حسنة فى حسن مَعْشَرِها ، وكرم أخلاقها ، وصِلَةِ رحمها. ولا غَرْوَ فهى حَفِيدَة الرسول عليه السلام، رافع لِواء الدين ، وناشر آيات الفضائل بين العالمين

وقد حضرت واقعة كَرْبَلاء المشهورة ، التى قُتل فيها أخوها الحسين رضى الله عنه ، وهى القائلة :

ما ذا تقولون إن قال النبى لكم
ما ذا فعلتم وأنتم آخرُ الأممِ
بِعِتْرَتى وبأهلى بعد فُرْقتكم
منهم أُسارَى ومنهم خُضِّبوا بدمِ
ما كان هذا جزائى إذ نصحتُ لكم
أن تخلفُونى بسوء فى ذوى رحمى

ثم سارت مع أهلها إلى الكوفة، فأومأتْ إلى الناس أنِ اسكتوا ثم قالت : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،

أما بعد يأهل الكوفة ، أتبكون فلا سكنت العَبْرة ، ولا هَدَأَت الرَّنَّة ، إنما مَثلكم مَثَلُ التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا . تتخذون أيمانكم دَخَلاً بينكم . ألا ساء ما تَزِرون . إى والله فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلاً ، فقد ذهبتم بعارها وشَنَارها . وَيْلَكم يأهل الكوفة ألا ساء ماسوَّلت لكم أنفسكم أنْ سَخِط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون . أتدرون أىَّ كبدِ الرسول صلى الله عليه وسلم فريتم ، وأىَّ دم له سفكتم ، وأىّ كريمة له أبرزتم ، لقد جئتم شيئًا إدًّا تكاد السموات يَتَفَطَّرْنَ منه ، وتنشقّ الأرض وتخِرُّ الجبال هدًّا . فَذَهِلَ الناس ووضعوا أيديَهم على أفواههم ، وأخذهم الدَّهْشُ والحَيْرَة . ولما استُشْهِدَ الحسين رضى الله عنه ، أُخِذت زينبُ مع مَنْ بقى منْ أهل البيت لحضرة يزيدَ فى دِمَشْق الشام ، حيث قُدِّم له الرأسُ الشريف. فجعلت فاطمة وسُكَيْنَة تتطاوَلان لتنظرا إلى الرأس ، وجعل يزيدُ يتطاول ليَسْتُرَه عنهما . فلما رأياهُ صاحتا ، فصاح نساء يزيد، وولولت جميعُ الحاضرات حتى جَوارى القصر . فقالت فاطمة ، وكانت أكبر من سُكينة : بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبَايا يا يزيد . فقال : يا ابْنَةَ أخى أنا لهذا كنت كارهاً . فصارت تُؤَنِّبه وتحاجُّهُ وتقرِّعهُ وتسمعه من وخز الكلام ما استَشاط له غضبًا تارة وأظهر الحلم تارة أخرى . ثم أمر بتجهيز أهل البيت إلى المدينة مع الإكرام

﴿ سُكَيْنَة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ﴾

كانت سيدة نساء عصرها ، ومن أبرعهن جمالا ، وأحسنهن أخلاقا ، وأظرفهن لقاء وكانت رضى الله عنها شاعرة تحبُّ الشعر والشعراء ، وتقرّبهم وتُجْزِل لهم العطايا . وكانت سريعة الخاطر ، حاضرة البَديهة ، مُتَوقّدة الذهن ، تميل للمُزاح الأدبى ، وتناضِل مَنْ فى حضرتها مُناضلات أدبية . فقد حُكِيَ أنها حضرت محْفِلا فيه بنتُ عثمانَ بن عفان رضى الله عنه . فقالت: أنا بنت الشهيد . فسكتت سكينة حتى إذا أذّن المؤذِّن وقال أشهد أن محمداً رسول الله . قالت لها سكينة : هذا أبى أم أبوك ؟ قالت بنتُ عثمان : لا أفْخَرُ عليكم أبدا .

وقد كانت رضى الله عنها على جانب عظيم من الصبر والجَلَد وتَحَمُّل الآلام . فقد قيل إنها أصيبت بِسِلْعَةٍ فى أسفل عينيها ، ثم كَبرَتْ جدا وعَظُم الأمر ، فأحضرت طبيبها وقالت له : ألا ترى ما وقعتُ فيه ؟ فقال : أتصبرين على الألم حتى أُعالجك ؟ فقالت نعم . فشق جلد وجهها حتى ظهرت العروق ، وكان منها شيء تحت الحدقة ، فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحيةً ، ثم سَلَّ عروق السلعة من تحتها ، وأخرجها ورَدَّ العين الى مَوْضعها . كلُّ ذلك وسكينة لا تَتَحَرَّكُ ولا

تَيْن ، حتى فَرَغ ، وبَرِئَتْ وبقى أَثَر الْجُرْح فى مُؤْخِرِ عينها . وقد توفيت رحمها الله سنة سَبعَ عشْرةَ ومائةٍ من الهجْرة

(السيدة نفيسة بنت الحسن حفيدة على بن أبى طالب كرّم الله وجهه)

وُلدت بمكةَ سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة ، ونشأت بالمدينة المنورة . وكانت رضى الله عنها من الصلاح والزُّهد على الحد الذى لا مزيد عليه . فيقال إنها حجت ثلاثين حِجّة ، وكانت كثيرة البكاء ، تَقيَّة ، عابدة ، مُصلِّية ليلَها صائمة نهارها ، مُسَبِّحةً بُكْرَةً وَعَشيًّا . وكانت تحفظ القرآن وتجيد تفسيره وتتلوه حَقَّ تِلاوَتِهِ . وقيل إن سبب قُدومها إلى مصر أنها فى أثناء حِجَّتها الأخيرة توجهت مع زوجها إسحق بن جعفر إلى بيت المَقْدِس ، فزارت قبر الخليل إبراهيم عليه السلام ، ثم جاءت معه إلى مصر فى رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة . وقد تلقاها الرجال والنساء بالهوادج من العريش ، ونزلت أوَّلا عند كبير التجار بمصر ، وكان من ذوى المعروف والبرّ . فأقامتْ عنده شهوراً يأتى إليها الناس من سائر الآفاق ، يَقْتَبِسُونَ من علمها وأخلاقها الكريمة ، ثم تحولت إلى مكانها المدفونة به ، وَهَبَهُ لها أمير مصر إذْ ذاك السَّرِىّ بن الحَكَم

ولما دخل الإمام الشافعىّ رضى الله عنه مصر ، سمع عليها

الحديث ، ولما توفى أُدخلت إليها جِنازته فصلت عليه فى دارها . وقد أقبل على زيارتها كثير لا يُحْصَوْنَ من العلماء والصالحين وغيرهم ، للاستفادة ومُذاكرة العلم كما تقدم

وقد انتقلت لجوار ربها رضى الله عنها فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين للهجرة بعد وفاة الإمام الشافعى بأربع سنين ، وكانت صائمة تقرأ سورة الأنعام ، فلما وصلت إلى قوله تعالى « لهم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِم » فاضت رُوحها . رحمها الله وَأَلْهَمَنا رُشْدها وتقواها

ست المُلك بنت العزيز بالله الفاطمى

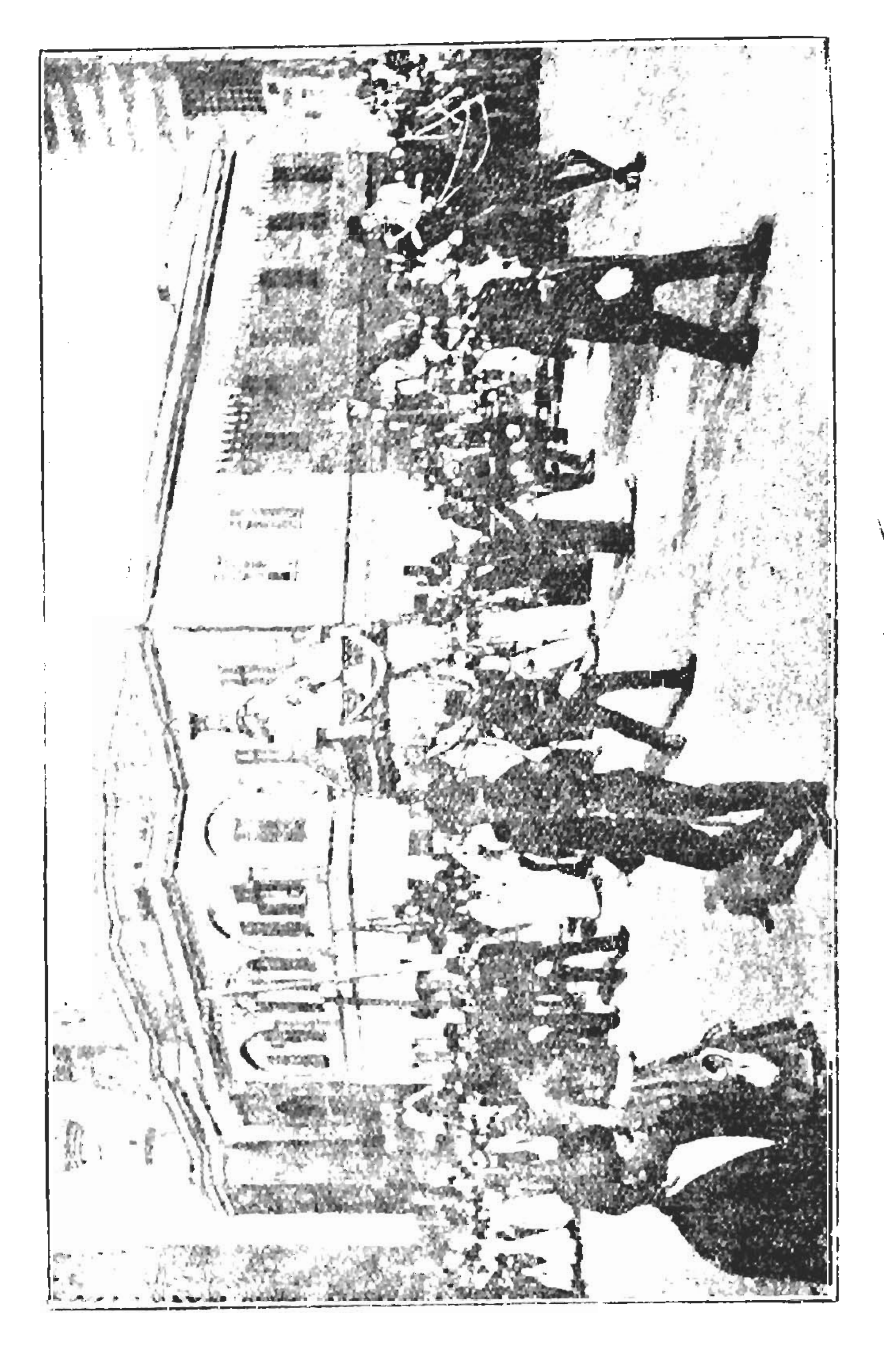
كانت من أجمل نساء زمانها ، وأوفرهن عقلا ، وأثبتهن جَناناً ، وأعلاهُن رأياً ، وأشَدهن حَزْماً ، شاركت أخاها الحاكم بأمر الله فى إدارة شئون الملك ، حتى صار يَقْطَع الأمور عن رأيها . وقد كان الحاكم بأمر الله متصفاً بالجَوْرِ ، والظلم ، والعَسْف فى أمور الرعية ، وغلا فى النهب والسلب ونَهْك الحُرُمات ، حتى أبغضه أهل مصر ولم يُخفوا كراهتهم له ، وصاروا يلعنونه فى كل مكان ، وَيَضْرَعُون إلى الله أن يُنقذهم من جَوْره . وقد بلغ به الجنون أنه أمر بإحراق مصر ونهبها انتقاماً من أهلها . فأطاعه جنوده ، وقاتلوا أهلها أشدَّ قِتال مدة يومين . وفى اليوم الثالث انضم الأتراك إلى أهل مصر وهددوه .

فلما رأى ذلك أمر بالكف عن القتال بعد أن أحرق جزء كبير من المدينة ، ونُهِبَ الكثير من بيوتها وحوانيتها . فلما اشتد غيظ الناس وحَنَقُهم عليه ، ظنَّ أن ذلك من أُخته ست الملك ، لعلمه أنها تُخالِطُ الساسة والعلماء لِرُقِى عقلها وعُلوّ كعبها فى السياسة وتدبير الأمور بالحكمة ، وصائب أفكارها . فَعَمَدَ من حُمْقه وجهله إلى قتلها واغتيال حياتها . فلما علمت بذلك ، عوّلت على الكيد له حِفْظا لحياتها وتخليصاً للرعية منه ، فأرسلت إلى قائد كبير ، وقالت له : أنت تعلم مايعتقده أخى فيك ، وأنه متى تمكن منك لا يُبْقى عليك ، وقد بلغ مُنْتَهَى الظلم والعَسْف ، واشتدَّ بالعباد الأمر ، وأخاف أن يقوموا عليه قَوْمَةَ رجل واحد ، فيهلك ونهلك نحن معه ، وتنقرض الدولة . فراق لديه ماقالت . ثم قالت : إن الحاكم سَيُصَعِدُ فى هذا الجبل غدا ولا يَصْحَبه إلا صبىّ ، فأقِم رَجُلين تثِق بهما يقتلانه والصبىّ ، ثم نقيم ولده من بعده ، وتكون أنت مُديرَ الدولة ، وأَزِيدُ فى إقطاعك مائة ألف دينار . ثم أعطته ألف دينار للرجلين . فاختار اثنين من ثقاته وأخبرهما بالقصة ، فمضيا إلى الجبل ، ولما انفرد الحاكم هجما عليه وقتلاه ، وكان عمره ستًّا وثلاثين سنة وسبعة أشهر . فلما أيقن الناس بقتله ، اجتمعوا إلى أخته ست الملك ، لعلمهم بفضلها ، وثِقتهم بعدلها ، ونزاهتها ، وبُعد نظرها . وشاوروها فيمن يَخلف أخاها ، فأجلست على سرير الحُكم على بن الحاكم وهو لا يزال صبيا ، وبايع له الناس ولقّبوه بالظاهر . وأنشأت ستُّ الملك تدير الدولة وصيةً على ابن أخيها

رافعة لواء العدل بين الرعيـة ، مُنْصفة للمظلومين ، ضاربة على أيدى البُغاة والطاغين.فأحَسَّ الناس بالفرق العظيم بين حكمها وحكم أخيها ، فأحبوها حبًا جمًا . ولـكنها لم تُعمَّر طويلاً ، فماتت بعـد أربع سنين سنة ٤١٥ هـ . فحَزِنَ عليها أهل مصر ولم يَنسَوْا فضلها العميم . أثابهـا الله جزاء إحسانها . وأجزل لهـا الأجر فى دار النعيم

شَجَرَة الدُّرّ

هى الملـكة عِصْمَةُ الدِّين ، زوجة السلطان الصالح نَجْم الدين أبى الفُتُوح أيوب . كانت عاقلةً مُهَذَّبَةً، خَبيرَةً بالأمور وسياسة الناس . وكان يَرْجِعُ إليها زَوْجُها فى الرأى ، وَيَسْتَشِيرُها فى المهمَّات . ومِنْ أمرها أنه لمـا ماتَ الملكُ الصالحُ بناحية المنصورة فى قتال الإفْرِنْجَة ، قامت بالأمر ، وكَتَمَتْ خـبرَ مَوته ، واستَدْعَت ابنه توران شاه من بلاد القوقاز ، وسلَّمت إليـه مقاليدَ الأمور . فتَولَّى المُلْكَ بقلعة دِمَشْق فى رمضان سنة سَبع وأربعين وستمائة هجرية ، ثم قَدِمَ إلى الصالحية ، وأُعْلِنَ يومئذ موتُ الصالح . وكانت شجرة الدر حتى ذلك اليوم قائمةً بتدبير شئون الدولة : تُوهِمُ الناس أن السلطان مريضٌ ولا سبيل لوصولِ أحدٍ إليـه . ثم أساء السلطان توران شاه التصرفَ فى الأمور ، فقتلهُ المماليك البحرية بعد سبعين يوماً من



(موكب المحمل الشريف)

تَوْلِيَته . وبموته انقضت الدولةُ الأيوبية من مِصْرَ . فأجمعَ المماليكُ البحريةُ على أن يُقيموا بعدَه شجرةَ الدر ملكةً ، وحَلَفُوا لها يمينَ الطاعة والإخلاص . فقامَتْ بتدبير الأمر خيرَ قِيام ، وأقامَتْ نصابَ العدل ، ورَتَعَ الناسُ فى بُحْبُوحَةِ السعادةِ والهناءة ، وأنفقت بِدَر الأموال على المحتاجين والمُعْوَزِين ، وضَرَبَت السِّكَّة باسمها ، وشيَّدت الجامعَ المدفونة به الآن بِخُطِّ الخليفة بمصر ، بالقرب من مَشْهَد السيدة سُكَيْنَة بنتِ الحُسَيْن رضى الله عنهما . ومن مآثِرها أنها أولُ مَن سيَّر المَحْمِلَ الذى يُعْتَبَرُ رائداً للحُجَّاج . فَبَقِيَ إلى أيامنا هذه تحتفلُ به الحكومة احتفالا رسميا فى كل عام : فيُسلم زِمامُ الجملِ الحامل للمحْمِلِ إلى مبعوثٍ كبيرٍ من الحكومة المِصْرية يُسَمَّى أميرَ الحجّ ، يحمل الهدايا إلى بلادِ الحِجازِ ، ويَفْصِلُ فى مشاكل الحجاج ، ويُؤَمِّنُ لهمُ الطريقَ لِأداء فريضةِ الحج

ومع ما كانتْ عليه شجرةُ الدرّ من الصفاتِ العظيمة ، والأخلاق الكريمة العالية ، لم يرضَ أهلُ الشام أن تكونَ سلطانةً عليهم ، لأن الشام فى ذلك العهدِ كانت جزءاً من السلطنةِ المِصْرية . فتزوَّجها الأميرُ عِزُّ الدّين أَيْبَك التركمانىُّ ، ونزَلَتْ له عن المُلْكِ بعد ان حَكَمَتْ ثمانين يوماً

اليصابات ملكة انجلترا

(Queen Elizabeth)

وُلِدَتْ فى سنة ١٥٣٣ ، وتُوُفِّيَتْ فى سنة ١٦٠٣ ميلادية ، وهى من أعظم من اعْتَلَى عرش الانجليز شاركت أخاها فى التَّعلُّم ، وكان يأخذ عن رجل من أَوْفَرِ الرجال علماً ، وأَوْسَعِهم معرفة . وبَرَعَتْ فى اللغات حتى كانت تتكلم بأشهرها فى زمانها ، وهى اللاتينية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والفلمنكية . وتَرْجَمَتْ بنفسها إلى الإنجليزية مؤلفاً إيطالياً . وكان يَحْلُو لها درسُ التاريخ ، وتفضله على ما سواه من العلوم ، لما فيه من الحوادث المُهَذِّبة ، التى تُهِمُّ الملوكَ العظامَ أمثالها معرفتُها . أما عصرها فكان أَزْهَرَ العصور الانجليزية : ظهر فيه من رجال السياسة والحرب والفلسفة مَنْ جعلوا لانجلترا مقاماً سامياً . وَوَقَعَ فيه من الحوادث الجُلَّى ما خَلَّدَ ذكر اليصابات فى التاريخ . ولقد كانت هذه الملكة العظيمة على ما أُوتِيَت من واسع السلطان والنفوذ ، تحتقر الإفراط فى التنعم ، وتسلك مَسلك الاقتصاد فى بيتها ، وتكره الملق . وقد كان فيها كثير من الصفات اللازمة لِرُقِيِّ الشَّعْب الانجليزى إذ ذاك ، وهو يَتأَهَّب للوُثوب والنهضة إلى الأمام . على



(الِيَصابات مِلِكَةُ انْجِلْتِرَا)

أن كثيرًا من المؤرخين يَنْسُبون جَلالَ عصرها وأُبَّهَةَ مُلكها إلى وُزرائها العظماء ، وقادَة بلادها الحكماء ، وهم بذلك لا يَغْمِطون حَقَّها من الفضل ، لأنها هي التي كانت تختارهم وتصطفيهم . ويَرْوى التاريخُ أن منْ أَلَدِّ أعدائها في زمانها . وشَرِّ خصومها في غُلَوَاء مُلكها ، ملكَ إسبانيا : فقد كان يَدْفَعه حِقْدُه عليها إلى مُناوأتها ودسّ الدسائس لها . فقد أعدَّ العُدَد لمحاربتها ، فجهز مِئات السفن الحربية ، وسماها « أرمادا » ، وجمع من الرجال والذخيرة ما يُرْهب . فبلغ الإنجليزَ خبرُه ، فأوفدت له الياصباتُ قائداً هُماماً اسمه « دريك » تَسَلَّل حتى دخل ميناء قادس باسبانيا ، وأحرق من ذلك الأسطول الضَّخْم سُفُنًا لا يقل محمولها عن عشرة آلاف طن من قبل أن تبدأ الحرب ، فأصاب بذلك كَبِدَ إسبانيا وهاج غيظها . فجمعت أمرها ثانية ، وخرج الأسطول سنة ١٥٨٨ م وعدد بوارجه ثلاثون ومائة من أكبر طِرَاز القرن السادس عشر ، فلاقاها ضَراغِمُ الانجليز بأسطول أقل عَدداً وعُدَداً ، وتغلبوا عليها بفضل مهارة القيادة . وبددوا شملها ومزقوها كلَّ ممزق . فانفرد الإنجليز بالعظمة في البحار . وكان هذا الحادث من عصر الياصبات بَدْءَ ما لِأسطول الإنجليز من المَنْعَة والرَّهبة والسَّيْطرة حتى وقتنا هذا . فلا عَجَبَ إذا ذُكر اسمها في تاريخ الإنجليز مقروناً بآيات الثَّناء والإعجاب

الملكة ڤكتوريا

(Queen Victoria)

عرِفَتْ الملكة ڤكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وأمبراطورة الهند بالذكاء المفرط ، وإصالَةِ الرأى ، وبُعْدِ النظر . وقد كانت أيامُ حكمها عصرَ سعادة وبركة ويُمْن على شعبها . وكانت تحب بلادها حبًّا جمًّا ، وَدَأَبَتْ فى ترقيتها وَرَفع شأنها ، حتى أدرك الشَّعْبُ الإنجليزى فى أيام دولتها منزلة عظيمة فى العلوم والمعارف

ارتقت الملكة ڤكتوريا أريكة الملك قبل أن تبلغ العشرين من عمرها ، فرأت أنها مسئولة عن أكبر دولة فى العالم . فعَمَدَتْ لطريق الحزم والسَّداد ، والنظر فى شُئون الدولة بنفسها ، غير مُعْتَمِدَة كلَّ الاعتماد على وزرائها ورجال دولتها . ومما يُؤْثَرُ عنها أن كاتم أسرارها كان يَعْرِضُ عليها يوماً أوراقاً لتُبدىَ فيها رأيها ، وتبُتَّ فى شأنها . فوقع نظرها على حكم مجلس عسكرى يقضى بإعدام جندى رَمْياً بالرَّصاص . فسألت جلالتها عن تُهَمَةِ هـذا الجندى . فأجابها كاتم أسرارها بأن هذا الجندى قد فرّ هارباً من الجيش ثلاثَ مَرّات ، وقد حُكِمَ عليه من قبل بعقوبات مُختلفة لَمْ تُقَوّم أخْلاقه . فقالت الملكة: ألا يوجد فى مِلَفِّهِ ما يَشْفَع له ؟ فأُجيبت بأنه خاطر بحياته مرة دِفاعاً



(فِكْتُورْيا ملِكَةُ إِنْجِلْتِرا وأمْبَراطورَة الهِنْدِ)

عن بلاده . فقالت : سأجعل هذا له شفيعاً نبئه أنى عفوت عنه . ثم تناولت يراعها وَوَقعت بيدها الكريمة بالعفو عنه . فكان هذا سبباً فى أن سلك ذلك الرجلُ الطريقَ السَّوىَّ ، وقوَّم ما اعْوَجَّ من طِباعه وأخلاقه، فاستقامت أموره ، ولَبِثَ مثالَ الطاعة والجِدّ والنشاط فيما بقى له من أيام الجندية

أحسِنْ إلى الناس تَستَعْبِدْ قُلوبَهُمُ   فطالما استعبد الانسانَ إحسان

جرِيسْ دارْلِنج

(Grace Darling)

على مسافة قريبة من شَمال شرقىّ انجلتره ، مجموعة من الجزر مُجْدِبة قاحِلة يبلغ عددها نحو خمس وعشرين جزيرة ، قد اختلفت مساحاتها ، وتنوعت أشكالها ، وهى خالية خاوية لا يسكنها إلا طير الماء والوحش . ولكنَّ واحدةً من كُبْرَياتِ هذه الجزر قد خَلَّد التاريخ ذكرها ، لأنها وطن فتاة إنجليزية تدعى « جريس دارلنج » لا يُذكر اسمُها بين قومها إلا بالإجلال والإعظام. لعَمل شريف أتته يَنِمُّ على ما انطوت عليه جوانحها من الشجاعة وجُمَّاع مكارم الأخلاق. عاشت جريس دارلنج كلَّ حياتها فى هذه الجزيرة الصخرية ، منقطعة عن العالم وضَوْضائه ، مُنْزَوية مع والدَيْها فى كُوخ حقير ، يتعهدون



جريس دارلنج
وَوَالِدُها
في قارِبِ النَّجاةِ

بجانبه مَنارَةٌ تَهْدى الملاّحين . منارةٌ تَنفُذُ أشعتها ليلا فى كبد ظلام البحار ، فتبعث ببارق أمل يُذهِب اليأس وتُسَرِّى به الهموم . أَلِفَتْ دارلنج عيشتها على هذى الشُّعَب الصخرية ، تهدى الضّالَّ وتُحذِّر السّارىَ أن يَرْتَطِم ، وتشير بالنور أن ابْعُدوا أيها الملاحون عن هذى الصخور . أَلِفَتْ هذه الحياة مُحَبةً فى الإنسانية ، فكأنما هذا الوطن المُوحش كِناسُ الأنس ، ومُقام السعادة ، لا تريد به بَدِيلا ، ولا ترغب عنه تحويلا . وكأنّا بها نَمْتَثِلها وهى جالسة فى النهار الصَّحْومع أمها على باب الكوخ تتشَمَّسانِ وتحْكيان وتَحيكان ، بينما أبوها يُهَيِّئُ المصباح ، ويرْقُبُ السفن بِمنظارِهِ ، وكأنّا بها نَمْتَثِلها مع والديها فى ليل شديد القُرّ تُزَمْجِرُ فيه الرياح ، وتَعْصِفُ الزَّوابع وتَهْطِلُ الأمطار الغِزار ، يَصْطَلونَ جميعاً ويتدفئون ويَسْمُرُون : يقصُّون قَصَصَ ما عاينوا وعانَوْا من جُنُوح المراكب وارتطام السفن ، وما اعتادوه من مُشاهدة الأهوال والعجائب . أَىْ « دارلنج » لله ما أَشْجَعَك وما أَكْبَرَ جَنانك إذا ذُكِرَتْ بَطَلاتُ النساء !

كانت « دارلنج » معتدلة القَوام ، ذات عينين سَوْداوَيْنِ لامعتين ، وشعر فاحم ، فى الثامنة والعشرين من عمرها عند ما وقعت هذه الحادثة . كثيرة الحياء جَمَّة الخجل ، يُقرأ فى عينيها الزرقاوين ما فطرت عليه من عَطْف وحَنان

ففى ليلة لَيْلاءَ من شهر سبتمبر سنة ١٨٣٨ ميلادية مرت باخرة إزاء شاطئ انجلترا بينه وبين تلك الجزر ، وكان الضباب ضارباً أطنابه ،

والظلام مُسْبلاً سُدُوله ، والريح تصفِر مُؤْذِنة بالْعَصْف والقَصْفِ ، وما لَبثَ الماء أن هاج وماج ، وهى تجرى بهم فى مَوج كالجبال أو

كريشة فى مَهَبّ الريح ساقطةٍ لا تستقر على حال من القَلَقِ

وما عَتَمَ المركَب أن انصدع ، فانصدعت القلوب ، ولم يُفد ما بُذِلَ من الجهْد لانقاذه ، فعَثَر بالركاب الجَد وحُمّ القضاء ، وطوّحت بهم الريح ، فارتطمت السفينة فى بعض الشُّعَب فانكسرت ، وانفجرت مراجلها ، وهلك الرُّبان وَمَنْ فيها إلا قليلا ممن هدى الله ، تَسَلقُوا الألواح الطافية ، وركبوا الشظايا العائمة ، كدود على عُود . ولكنهم لم يلْبَثُوا على هـذه الحال إلا قليلا ، فقد نهكَهُم الكِفاح ، فَكَلَّ الساعِدُ وَوَهَنَ الجَلَدُ وبلغت الروح الْحلقوم ، حتى مطلع الفجر وانْبثاق الصباح . فخرجت « دارلنج » من حجرتها كعادتها تُمَتِّع الطرف برؤية البحر الخِضَمّ ، وتقرأ آيات الله فى كتاب الطبيعة . وبينما هى سابحةٌ فى تأمل قدرته تعالى وتبديله الغَيْم صَحْوا ، والخوفَ أمْنا ، إذْ لاحَتْ منها التفاتة فإذا أشباحٌ بلا أرواح ، تتقاذفها الأمواج وتخطفها اللجج ، فتعلو بها وتَهْوى . فصرخت يا للنجاة ! وأسرعت إلى والدها تَسْتَحِثُه وتستنجده . فقال : وَيلاه يا بُنَيَّتِي إنى شيخ فانٍ قد وَهَنَ العظمُ منى واشتعل الرأسُ شيبا ، وضَعُفَتْ قواى ، وأَنْتِ فتاة غضة لا تَقْوَيْنَ على مُغالبة هذه الأمواج الثائرة ، وقارِبُنا صغير حقير . . . . فقاطعته وأقسمت أن تُنقِذَهم أو تموت . ثم تضرعت إليه وتوسلت . فَشَمّرَا عن ساعد الجِدّ ، وَعَمَدَا إلى القارب ، وتناول كلٌّ مِجْدافا ،

وخاضا عُباب الماء ، حتى كانا من الهلاك قاب قوسين أو أدنى . فلما وصلا إلى تلك الأشباح وهى تَلْفِظ أواخر الأنفاس ، أنقذا كلَّ مَنْ بقى فيه رمقٌ من الغرق ، وتغلبا على الصِعاب والعوائق بصبر نادر ، وثبات عجيب ، حتى تمَّ لهما ما أرادا من عمل البِرّ ، وإسداء المعروف وإغاثة الملهوف . فرجعا بهؤلاء المنكوبين الى الكوخ ، وأخذا يتعهّدانِهم بأنواع البر والعناية ، حتى صَحا الجو وَمَثَلوا للعافية . فرجَعوا إلى أوطانهم يقُصُّون خبرهم العُجاب ، ويتحدثون بشجاعة تلك الفتاة النادرة ، وكريم شمائلها ، وشريف عواطفها . فطار صيتُ دارلنج فى الخافقَيْن ، وردَّده البرق فى الآفاق ، وأطنبت الجرائد فى الثناء ، وانهالت عليها الرسائل من كل صوبٍ من عُظماء رجال الدول الأوربية ، وبعثوا إليها الهدايا والتحف والأموال . ونحن بعصر الآن نروِى حكايتها ونُعْجَب بشهامتِها وَبَسالَتِها

لُورا سيكُورْد

(Laura Secourd)

(بَطَلَة فى تاريخ كندا)

التاريخ مُفْعَمٌ بأسماء بَطَلات النساء ، اللاتى كان من قوة جَنانهن أنْ شَهِدْنَ المواقع ، ونَزَلن الوغى ، ورَكِبْنَ المخاطر ، سواءٌ أكان

بامتشاق الحسام بأنفسهن ، أم بإعانة الجرحى وإسعاف المرضى . على أن اسمَ المرأة كاسم الرجل جديرٌ بالتمجيد والتخليد، إذا كان لها من المآثر والفضل ما يرفعها إلى هذه المنزلة الكريمة ، كما هو الأمر فى السيدة « لورا سيكورد » بطلة هذه النُّبْذَة التاريخية

كانت سيكورد زوجَ أحد الكَنَديّين المخلصين لوطنهم ، العاملين فى الذَّوْد عن بلادهم . قد انتظم فى سلك الجندية أثناء إغارة الأمريكيين على كندا سنة ١٨١٢ م لما أقبلوا عليها بخَيْلهم ورَجلِهم ، واجتاحوا الأراضىَ، وملكوا القرى والمدن ، وهدّدوا البلاد ، ووقف أبطال كندا يدافعون ويناضلون ، وجُل أمانيهم أن يمنعوا العدو من عُبور نهر نياغرا . فجُرِح زوجُ سيكورد فى بعض الملاحم ، وخرّ فى ساحة القتال مُغْمًى عليه بين الأشلاء والقَتْلى ، حتى جاءت سيكوردُ وَاجفةً مُرَوَّعة مذعورة تبحث عنه فيما بينهم . فعثرت به وقد أخذ منها الأسى كلّ مأخذٍ ، وشمَلها اليأسُ .ولكن ما لبثتْ أن ملكت شعورها رُوَيْدًا ، فحملته فانْتَبَذَتْ به دارها القَصية ، وأخذت تُضمّدُ جرَاحه ، وتُعْنَى بأمره أشهراً طِوالاً ، رائدُها المحبة والاخلاص ، والأمانة والوفاء . فلم تنجح إلا فى تخفيف بعض آلامه لِما كان قد لَحِقَهُ مِنَ الوَهْنِ والضّعْفِ العظيم . وقد زاد حالها تَعْساً أن منزلها وما حوله من الضِّياع والحِراج وقع فى قَبْضَة العدو ، وضرب عليه نطاقاً من الجواسيس الى أميال بعيدة المَدَى

أما موقفُ العدو فكان على مَناعَتِه وقُوّته يُهدِّده ضابطٌ

كَندىٌّ إِرْلَنْدِيٌّ يُدْعى « فِتْزجيبُون » قد رَبَضَ على مَقْرُبَةٍ منه ، وَمَلَكَ أَعِنَّةَ الطُّرُقات ، وسدَّ عليه المنافذ الرئيسية . فأرسل العدوُّ اليه فَصِيلة مكوَّنةً من سمائة من رجاله لِتزَحْزِحَهُ عن مكانه ، ولكنها لم تنجح.

وقد صادف فى اليو الثانى والعشرين من شهر يونيه سنة ١٨١٣ أن اثنين من عِظام الضباط الأمريكيين كانا على مَقْرُبة من منزل سيكورد ، يَتباحثان ويُعْمِلان الفِكْرَ ، ويُدَبّران الخُطَطَ لاغتيال الضابط الكَندىّ الارْلَنْدِىّ الذى قطع عليهم الطريق . وما كانا



لورَا سِيكُورْد تَحْمِلُ زَوْجَها الجَرِيحَ إلى بَيْتِها

يَحْسِبانِ أنّ رجلاً قُعَدَةً جُثَمَةً وامرأة مهزولة ضعيفةً مثلَ سيكورد يسترقَانِ السمعَ ويَعيانِ كلَّ ما يقال . فما وُضِعَتْ الخُطة الحربية حتى ثارَت فى نفس سيكورد الحَمِيةُ الوطنية ، وصَمَّمَت على ان تُبلِّغ « فِتْزجيبُون » الخطةَ أو تموتَ

فلما رَحَلَ الضابطانِ ، خرجت عاريةَ الرأسِ ، حافيـةَ القدم ، لا يَظْهَرُ عليها شيءٌ من علاماتِ التأهب لسفر طويل ، فَعَمَدَتْ إلى بقرتها فلما قرُبت منها استنفرَتها ، فشردَت خائفة مذعورةً . فخرجت وراءها تقتفى أثرَها مُظهرةً الفزَعَ من نِفارِها ، ولكنها ما كانت فى الحقيقة إلا مُنَفِّرَةً لها . وما زالت كذلك تقطع مرحلة بعد مرحلة ، والحرَسُ لا يرَوْن إلا منظرًا طبيعيًّا لاشُبهةَ فيه : بقرةٌ نافرة وامرأةٌ هائمة وراءها . فلما أَمِنَت العيونَ والرُّقباء ، وقد أضناها التعب ، تركت بقرتها وواصلت السيرَ وقد دَمِيَتْ قدماها ، ومزَّقت الأدغالُ ملابسها وهى تطوى الأرض ولا تَلوى على شئ : تصعّد على التلال ، وتَعبُرُ الجداولَ ، إلى غسَقِ الليل ، وقد خَيَّم الظلام وأسبلَ سدُوله ، وأحاطت بها المخاوفُ . ولكنها ثابرَت وما وَنَتْ حتى أدركت غايتَها عندشروق الشمس . فمَثَلَتْ امام الضابط « فِتْزجيبُون » ، وقَصَّتْ عليه القَصَصَ وخرَّتْ مَغْشيًّا عليها . فأقبلَ عليها هو ومن معه يتعهدونها حتى ثابَتْ إلى رُشْدِها ، ثم أجمعوا أمرهم ودبَّرُوا خُطتهم وسارَعوا إلى الهجوم ، وفاجئوا العدوَّ على غِرّةٍ ، فَسقِطَ فى يده . وهكذا دُوّنَ اسم سيكورد فى صفحات تاريخ هذه الوقعة المجيدة إلى ما شاء الله



لورا سيكورد تستقبل في بيتها الملك إدوارد السابع
وهو ولي العهد

ولما زار جلالة ملك الانجليز ادوارد السابع كندا سنة ١٨٦٠ وكان إذ ذاك وَلِيَّ العهدِ ، كانت سيكورد لا تزالُ على قَيْدِ الحياة ، فزارها وحادثها وَوَصَلها بِصِلاتٍ سنية أطْلَقتْ لسانَها بالشكر والدعاء له

﴿ لِينا ﴾

(Lena)

(فتاة شَجيعة)

كانت فى إحدى قرَى جبال الألبِ الطليانية ، الواقعة على الحدود الشمالية الغربية ، فتاةٌ قد كفلَتْها امُّها بعد أن مات أبوها دِفاعاً عن وطنه ، أيامَ كان نابُليُونُ الأكبرُ يَحْشُدُ الجيوشَ الجرارة ، ويسفِكُ الدّماء مِدراراً ، طمعاً فى الاستيلاء على إيطاليا . وكانت « لِينا » فتاتُنا هذه لا تفتأُ تذكرُ والدَها الفقيد ، وقلبُها ينفطر من أجله أسًى وأسفاً . ولم يكن لها سُلْوانٌ سوى أنه مات شهيد الوطنِ ، شهيدَ الحرية . فكان إذا قام بها هذا الخاطرُ وتمكَّن منها ، تمنّت لو كانت رجلاً يموتُ هذه الميتةَ الطاهرةَ الشريفة . ولم يكن هذا شأن « لينا » وحدَها ، بل كان سُكانُ إيطاليا جميعاً على هذا الشعور وتلك الحَمِية ، التى أذكاها فى نفوسهم خَوْفُهم على وطنهم من ذلك الفاتح

الهاجم . وقد كان الإيطاليون فى الملاحم التى جرت حينئذ يُهَيِّئُونَ على قُلَلِ الجبال حطباً يقوم بجانبه بعض الجنود ، حتى إذا لمحوا عن بُعدٍ جيوشَ الأعداء أشعلوه ، فيكون أذاناً بالخطر الداهم والعدوّ المُغير . فيأخذُ كلٌّ عُدَّتَه ويتحفزُ للقاء . ووافق فى يوم من أيام الأعياد أن استبطأ القومُ عدوَّهم ، ولها بعضُ الحرس عن واجبهم ، واحتشد الناسُ فى قُراهم ومدائنهم . فأدرك العدوُّ لَهْوَهم وانصرافهم عن واجبهم ، فأخذ يتسلق الجبال من جهاتٍ مُلائمة ، ويتخير الطرق لساعة الهجوم الفاصلة ، والمعمعة الحاسمة . وبينما هو كذلك كانت « لينا » تستريض بجوار بعض تلك الجبال ، فخطر لها أن تتسلق أحدَها تسريةً لِلْهَمِّ عن نفسها ، وبَعثاً للنشاط والسرور . فلما أدركت القِمَّة إذا بها عند الحطب ولا رقيبَ له ، فنظرت يَمْنةً ويَسْرَةً فإذا بعضُ الجند من العدو فى تدبير وتفكير ، بينما قومُها فى لهو وتغرير . فأَيْقَنَتْ أن الخَطْبَ حالٌّ والبلاءَ نازلٌ ، إن لم تسارع إلى إشعال الحطب . فأوقدته وكان منقوعاً فى زيت النِّفط فسرَت فيه النار كلمح البصر ، واندلعَ لَهَبُها . فرأته جنودُ العدو فجرَت تستطلعُ الخبرَ ، فلَمَحَت الفتاةَ هاربة . فأطلق بعضُهم النار عليها فأصابها فى ذراعها ، ولكنها من ذُعْرها وَوَجَلها لم تُحِسَّ بالجُرْح إلا بعد أن بلغت كوخها ، حيث غلبها الضَّعفُ فخرَّت مغشيًّا عليها . فجعلت أُمها تعتنى بها حتى أفاقت وقَصَّتْ عليها قَصَصَها . فَسُرَّتْ بشجاعة إبنتها ونَجْدَتها وصِدْق وطنيتها . وأما الحطبُ فَعَظُمَ اضطرامه ، وانعقد مع السُّحُب دُخَانه ،



« لينَا » فِي سَبِيلِ الوَاجِبِ نحْوَ الوَطَن

فلفتَ أنظارَ القوم وهم فى غيّهم ونَشْوَة طرَبهم . فهبُّوا مذعورين خشيةَ أن يُصيبَ البلادَ مكروهٌ . فأقبلوا على الواجب ، وامتشقوا الحُسام ، وتأبَّطوا البنادق ، وأنذروا العدوَّ بالوَيل والثُّبور . فلما رأى صدق عزيمتهم ، وحُسْنَ استعدادهم ، وشدَّةَ بأسهم ، أيقنَ بالفشل وتَنَحَّى عن مراكزه التى كان قد احتلها ، ورجع أدْراجَه . وكان « لللينا » هذا الفخارُ العظيمُ والشرفُ السامى . فكأنها من ملائكة الرحمة ، هبطتْ فأنقذت قومها من كارثةٍ كادت تودِى بهم ، وَبليَّةٍ أوشكت أن تقضىَ عليهم . فهكذا الصادقات المخلصات ولمثل هذا فلتعمل العاملات . إن فى ذلك لآيةً لأولى الألباب

فلورِنْسْ نايتِنْجيل

(Florence Nightingale)

هو اسم سيدة نبيلة ، أصبح الآن رمزاً للإنسانية ، وعُنواناً على مبلغ ما تَصلُ إليه ربَّاتُ الحِجال ، من العطف والحَنان والشهامة والكرامةِ . ظهر اسم فلورنس نايتنجيل ورَنَّ صداه وتضوَّع نَشْرُه فى أيام حرب القرْم بين الروس والانجليز : إذْ وقف الفريقان كَفَرَسَىْ رهان ، يبذل كلٌّ مُهجته لإرغام خصمه لإحراز النصر والسيطرة على العالم . فسالتِ الدماءُ أنهاراً ، وزَهقت الأرواح ، وتمزقت الأجسادُ ،



(فلورنس نايتنجيل)

فكنتَ إذا خُضْتَ ساحةَ الوَغى جَزِعْتَ ، ونَدَبْت رجالا تئنُّ ، وأبطالاً تدْمَى ، وأُسودًا تجرّع سكَرات الموت فى الليالى الليلاء ، منبوذين بالعَراء . أىْ فلورنس مَلَك الرحمة ! أنتِ فيما بين هؤلاء تجُوسين خِلالهم ، وتَتَخَطَّيْنَ صفوفهم ، وتحنين عليهم : تجُسّين النبْضَ ، وتُضمِّدين الجراحَ ، وتخففين الأتراحَ . فلِله قلبُك ماأقواه، ولله جَنانك ماأسماهُ ! جمعتِ حَوْلَكِ لَفيفًا من شريفاتِ الأنفس والغاياتِ، وكريماتِ الشمائل والمقاصد ، فكُنَّ نحو الأربعين ، ثم زِدْنَ حتى بَلَغْنَ مائةً وخمسين . أخذنَ على أنفسهن رِعايةَ الجَرْحى والمَرْضى الذين لَفَظَتْهُم رَحى الحرب . فأَنْعِمْ به مِنْ واجب وأَعْظِمْ بها من مُرُوءَة ! كُنَّ يَطفْنَ فى جُنْحِ الظلام تحملُ الواحدةُ قنديلها ، حتى إذا عثرَتْ على مَنْ هو فى حاجة إلى المعُونة والعطفِ تعهَّدَتهُ وأسعفتهُ ، حتى يُفيق ويَثُوبَ إلى رُشْدِه ، ثم يُحْمَلُ إلى مستشفًى جَمَع أسبابَ الراحة وأدواتِ الإسعاف والمعونة ، لا يبرحه حتى يُبلَّ ويلبس ثوب العافية . هذا هو بعضُ ماأتته فلورنس من جلائل الأعمال. ابتدعت هذا النوع من الإسعاف والعناية بالجرحى. فتناوله الخَلَفُ من بعدها ونظموه، ووصلوا به إلى ما يُسمَّى الآن «بجمعية الصليب الأحمر.» ويعرف فى ممالك الإسلام باسم «الهلال الأحمر.» ولا يجهل أحد مقدار هـذا العمل وما له من الأيادى البيضاء على المجتمع الانسانى : فقد نشر لواءَ البر والإحسان فى أنحاء العالم . تخضع له أقسى القُساةِ من

الغزاة ، وحنى له الرأسَ إجلالاً وإكبارًا . هذا النظام الجليل هو أثرٌ من آثار سيدة ، وفكرةٌ من بنات أفكارها ، وأملٌ من آمال فؤادها.

وُلدت فلورنس نايتنجيل فى مدينة فلورنسه سنة ١٨٢٠ م.فلما نشأت وترعرعت تعلمت فن التمريض ، حتى إذا أتمت دراسته أسست ملجأً فى شارع هارلى بلندن (وهو شارع النطاسيين من الأطباء إلى وقتنا هذا) . وكانت تقضى أوقاتها بهذا الملجأ ، تخفف الآلام بما فطرت عليه من الحُنُوّ وإنكار ذاتها . حتى إذا شُهِرَتْ حربُ القِرْم هرعت إليها ، ودعت الناس للاكتتاب لعملها المبرور ، وحضّت النساء على مَدِّ يد المعونة . فجمعت أكثر من مليون فرنك ، والْتَفَّ حَوْلَها من السيدات جمعٌ غفير ممن يستعذبْن الألم فى سبيل تخفيف الألم . وبعد انتهاء الحرب بقى كثير مما جُمع من المال ، فوفقته على توسيع نطاق مستشفى سان توماس بلندن ، وهو من أشهر المعاهد الطبية المعروفة هنالك الآن . وأخذت على نفسها القيام بتدريس فن التمريض به . ومن ذلك نشأت فكرةُ تدريب السيدات على هذا الفن . ثم شاعت فى جميع أنحاء العالم الراقى ، فاحتذاها ونَسَجَ على مِنوالها . وأُنْعِمَ عليها بمبلغ خمسين ألف جنيه خصصته لتأسيس «دار نايتنجيل للمرضات». ومنحها ملوك أوربا ألقابَ الشرف «والأوسمة» اعترافًا بفضلها وإقرارًا بجميلها على النوع الإنسانى

وإنما المرءُ حديثٌ بعدَهُ فكنْ حديثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى